

فَضيلَةٌ رائِعَةٌ في
مَجْمُوعَةٍ قَصَصيَّةٍ لِلأَطْفالِ

السَّلَامُ

PEACE

ماري جوزيف

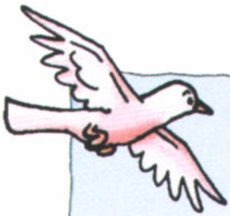


8 قصص شيقة



فَضِيْلَةٌ رَائِعَةٌ فِي
مَجْمُوْعَةٍ قَصَصِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ

السَّلَامُ



الأَلْعَابُ الأولمبيَّةُ

تَتَحدَّثُ هَذِهِ المَقَالَةُ عَنْ نَشْأَةِ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ، وَعَنْ أَهَمِّيَّةِ اللَّعِبِ الجَمَاعِيِّ فِي خَلْقِ جَوٍّ مِنَ السَّلَامِ وَالإِخَاءِ.

غوتاما بوذا

وَهِيَ قِصَّةٌ تَتَحدَّثُ عَنْ أَمِيرٍ قَرَّرَ التَنَازُلَ عَنْ ثَرْوَاتِهِ بَحْثاً عَنِ السَّلَامِ، بَعْدَمَا شَاهَدَ أَشْكَالَ المُعَانَاةِ فِي هَذَا العَالَمِ بِأُمِّ عَيْنِه.

قِصَّةُ مَدِيْنَتَيْنِ

وَفِي هَذِهِ القِصَّةِ إِعَادَةٌ لِصِيَاغَةِ رِوَايَةِ (تشارلز ديكنز) الَّتِي تَتَحدَّثُ عَنِ العُنْفِ، وَمِنْ خِلَالِهَا سَنَكْتَشِفُ أَنَّ تَبَلُّدَ مَشَاعِرِ الأَغْنِيَاءِ يَحْرِمُهُمْ مِنَ التَّمَتُّعِ بِنِعْمَةِ السَّلَامِ فِي حَيَاتِهِمْ.

مهاتما غاندي وَأدولف هتلر

سَنَسْرُدُ هُنَا قِصَّةَ حَيَاةِ رَجُلَيْنِ، اِسْتَطَاعَ أَحَدُهُمَا أَنْ يُحَقِّقَ مِنْ خِلَالِ طَرِيْقَتِهِ السِّلْمِيَّةِ مَا لَمْ يَتَمَكَّنِ الآخَرُ مِن تَحْقِيْقِهِ عَبْرَ اللُّجُوْءِ إِلَى العُنْفِ.

الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ

تَحْكِي هَذِهِ القِصَّةُ كَيفَ تَشَكَّلَتْ هِيئَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، وَعَنْ وَظِيْفَتِهَا فِي حِفْظِ السَّلَامِ فِي العَالَمِ كُلِّهِ.

العُنْصُرِيَّةُ

وَهِيَ مَقَالَةٌ تَتَحدَّثُ عَنْ أَنَّ الإِحْسَاسَ بِالفَوْقِيَّةِ يُوَلِّدُ العُنْفَ، وَيُقَوِّضُ السِّلْمَ.

ماكبث

وهِيَ مَسْرَحِيَّةٌ شكسبيريَّةٌ تَتَحدَّثُ عَمَّا فَعَلَهُ (ماكبث) وَزَوْجُهُ، فَقَدْ دَفَعَهُمَا جَشَعُهُمَا وَتَسَلُّطُهُمَا إِلَى تَصْعِيْدِ حَالَةِ العُنْفِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي (اسكتلندا) آنَذَاك.

عَمُوْدُ (آسوكا)

تَتَحدَّثُ هَذِهِ القِصَّةُ عَنِ الجَرِيْمَةِ النَّكْرَاءِ الَّتِي جَعَلَتِ المَلِكَ الَّذِي ارْتَكَبَهَا يَتَحَوَّلُ إِلَى دَاعِيَةٍ إِلَى السَّلَامِ.

الأَلْعَابُ الأولمبيَّةُ

لَعَلَّكَ عَزِيزِي القَارِئَ قَدْ شَاهَدْتَ ذَلِكَ الرَّمْزَ المُؤَلَّفَ مِنْ خَمْسِ حَلَقَاتٍ مُتَشَابِكَةٍ، تَبْدَأُ بِالحَلَقَةِ السَّوْدَاءِ، فَالزَّرْقَاءِ، فَالخَضْرَاءِ، فَالحَمْرَاءِ، فَالصَّفْرَاءِ أَخِيرًا، إِنْ كُنْتَ قَدْ شَاهَدْتَهُ؛ فَأَنْتَ إِذاً تَعْرِفُ رَمْزَ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ، حيثُ إِنَّ كُلَّ حَلْقَةٍ مِنْ تِلْكَ الحَلْقَاتِ المُتَشَابِكَةِ تُمَثِّلُ قَارَّةً مِنْ قَارَّاتِ العَالَمِ الخَمْسِ، وَهِيَ أَفْرِيقِيَا، وَآسِيَا، وأُسْتُرالِيَا، وأُورُبَّا، والأَمْرِيكِيَّتَانِ: الشِّمَالِيَّةُ وَالجَنُوبِيَّةُ، وَقَدْ تَمَّ رَبْطُ تِلْكَ الحَلْقَاتِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ لِتُمَثِّلَ الوَحْدَةَ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّوَحُّدَ يُسَاعِدُ عَلَى حِفْظِ السَّلَامِ العَالَمِيِّ، كَمَا لَابُدَّ أَنْ يَشْتَمِلَ عَلَمُ أَيِّ دَوْلَةٍ مُشَارِكَةٍ فِي الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الأَلْوَانِ الَّتِي رُسِمَتْ بِهَا حَلْقَاتُ الشِّعَارِ، فَدَوْرَاتُ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ تَجْمَعُ آلَافَ الرِّيَاضِيِّينَ المُحْتَرِفِينَ.

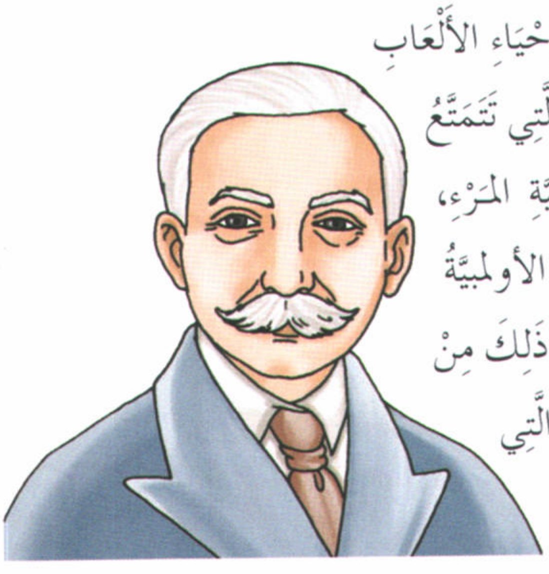
بَدَأَتِ الأَلْعَابُ الأولمبيَّةُ فِي اليُونَانِ، فَقَدْ كَانَتِ الأَلْعَابُ الرِّيَاضِيَّةُ عُنْصُراً مُهِمّاً فِي الاحْتِفَالَاتِ الدِّينِيَّةِ لِلإِغْرِيقِيِّينَ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ اشْتِرَاكَهُمْ فِي تِلْكَ الأَلْعَابِ يُقَرِّبُهُمْ مِنَ الآلِهَةِ زُلْفَى.

وَمِنْ أُولَى المُسَابَقَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ الَّتِي أَجْمَعَ المُؤَرِّخُونَ عَلَى انْعِقَادِهَا كَانَتْ قَدْ تَمَّتْ عَامَ ٧٧٦ ق.م فِي مَلْعَبِ أولمبيا الَّذِي كَانَ قَدْ أُقِيمَ فِي وَادِي (أولمبيا) غَرْبَ اليُونَانِ، وَكَانَ ذَلِكَ المَلْعَبُ يَتَّسِعُ لِأَرْبَعِينَ أَلْفَ مُتَفَرِّجٍ، وَكَانَتْ دَوْرَةُ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ تُعْقَدُ كُلَّ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ، أَمَّا الرِّيَاضَةُ الوَحِيدَةُ الَّتِي أُقِيمَتْ لَهَا مُسَابَقَاتٌ خِلَالَ أَوَّلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ دَوْرَةً أولمبيَّةً؛ فَقَدْ كَانَتْ رِيَاضَةَ الجَرْيِ مَسَافَةَ ١٨٠ مِتْراً، وَبَعْدَ ذَلِكَ أُضِيفَتِ الكَثِيرُ مِنَ الأَلْعَابِ الرِّيَاضِيَّةِ إِلَى الدَّوْرَاتِ الأولمبيَّةِ.

هَذَا، وَقَدْ وَقَعَ زِلْزَالٌ مُدَمِّرٌ سَنَةَ ٥٠٠ لِلْمِيلَادِ تَقْرِيباً، وَأَدَّى إِلَى تَدْمِيرِ ذَلِكَ المَلْعَبِ، فَتَحَوَّلَ إِلَى أَطْلَالٍ، وَمِنْ ثَمَّ تَسَبَّبَ انْهِيَارٌ صَخْرِيٌّ فِي طَمْرِهِ كَامِلاً.

وَعِنْدَمَا اكْتَشَفَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الآثَارِ عَامَ ١٨٧٥ أَطْلَالَ ذَلِكَ المَلْعَبِ، أَحْيَا رَجُلٌ فَرَنْسِيٌّ يُدْعَى (بارون بيير دو كوبرتين) الأَلْعَابَ الأولمبيَّةَ، فَعَاوَدَتِ الظُّهُورَ مِنْ جَدِيدٍ.

وَمِنْ بَيْنِ الأَهْدَافِ الرَّئِيسَةِ الَّتِي دَفَعَتْ (دو كوبرتين) إِلَى إِحْيَاءِ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ تَشْجِيعُ الأَمْنِ وَالسَّلَامِ، فَقَدْ كَانَ يَرَى بِأَنَّ الأَلْعَابَ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِقَوَانِينَ ضَابِطَةٍ، وَنِظَامٍ صَارِمٍ تُسَاعِدُ فِي تَهْذِيبِ شَخْصِيَّةِ المَرْءِ، وَتَحْسِينِ سُلُوكِهِ، وَتَوْجِيهِهِ نَحْوَ الطَّرِيقِ القَوِيمِ، وَتُعَدُّ الأَلْعَابُ الأولمبيَّةُ حَدَثاً عَالَمِيّاً، وَذَلِكَ لِمُشَارَكَةِ دُوَلٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي ذَلِكَ الحَدَثِ، وَذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِ حِفْظُ السَّلَامِ بَيْنَ تِلْكَ البُلْدَانِ، وَهَذَا مَا جَعَلَ فِكْرَتَهُ الَّتِي طَرَحَهَا خِلَالَ اجْتِمَاعٍ رِيَاضِيٍّ دَوْلِيٍّ تَلْقَى تَرْحِيباً كَبِيراً.





وَقَدْ أُقِيْمَتْ أَوَّلُ دَوْرَةِ أَلْعَابٍ أولمبيَّةٍ حَدِيْثَةٍ في (أثينا) باليُوْنَانِ عَامَ ١٨٩٦، وَكَانَ هَدَفُهَا اِخْتِبَارَ مَهَارَةِ الأَفْرَادِ وَمَدَى قُوَّتِهِمْ، وَلَمْ يَكُنِ الغَرَضُ مِنْهَا قِيَاسَ مَهَارَاتِ الشُّعُوْبِ، لِذَا لَمْ تَظْهَرْ خِلَالَ تِلْكَ الدَّوْرَةِ أَيُّ مَشَاعِرَ سَلْبِيَّةٍ دَفِيْنَةٍ بَيْنَ الدُّوَلِ المُشَارِكَةِ.

تَمَّ تَقْسِيْمُ دَوْرَةِ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ إِلَى دَوْرَةِ أَلْعَابٍ صَيْفِيَّةٍ وَأُخْرَى شَتْوِيَّةٍ، حَيْثُ تُعْقَدُ دَوْرَةُ الأَلْعَابِ الصَّيْفِيَّةِ في إِحْدَى المُدُنِ الرَّئِيْسَةِ، بَيْنَمَا تُعْقَدُ دَوْرَةُ الأَلْعَابِ الشَّتْوِيَّةِ في أَحَدِ المُنْتَجَعَاتِ الشَّتْوِيَّةِ.

وَتُعَدُّ الأَلْعَابُ الأولمبيَّةُ حَدَثاً مُهِمّاً جِدّاً، إِذْ يَتَرَقَّبُ حَفْلَ اِفْتِتَاحِ الدَّوْرَةِ حَشْدٌ كَبِيْرٌ، وَيَتَمَيَّزُ بِفَخَامَتِهِ وَبَهْجَتِهِ، وَيَسِيْرُ الرِّيَاضِيُّوْنَ خِلَالَهُ في مَوْكِبٍ دَاخِلَ المَلْعَبِ يَتَقَدَّمُهُ اللَّاعِبُوْنَ اليونانيُّون الَّذِيْنَ حَافَظُوْا عَلَى مَوْقِعِ الصَّدَارَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَقَامَ الأَلْعَابَ الأولمبيَّةَ في اليُوْنَانِ، يَأْتِي بَعْدَهُمُ الرِّيَاضِيُّوْنَ مِنْ سَائِرِ البُلْدَانِ المُشَارِكَةِ، وَذَلِكَ حَسَبَ التَّسَلْسُلِ الأَبْجَدِيِّ لِأَسْمَاءِ تِلْكَ البُلْدَانِ، وَلَابُدَّ لِلدَّوْلَةِ المُضِيْفَةِ الَّتِي تُقَامُ فِيْهَا دَوْرَةُ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ أَنْ تَكُوْنَ آخِرَ مَنْ يَظْهَرُ في ذَلِكَ المَوْكِبِ.

بَعْدَ ذَلِكَ يُعْلِنُ رَئِيْسُ الدَّوْلَةِ المُضِيْفَةِ عَنْ بَدْءِ دَوْرَةِ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ، ثُمَّ يُعْزَفُ نَشِيْدُ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ، وَتُؤَدِّيْهِ فِرْقَةٌ مُخَصَّصَةٌ لِذَلِكَ، وَبَعْدَهَا يَتِمُّ رَفْعُ عَلَمِ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ، فَتُقْرَعُ الطُّبُوْلُ، وَتُطْلِقُ المَدْفَعِيَّةُ قَذَائِفَهَا تَحِيَّةً لِذَلِكَ العَلَمِ، ثُمَّ يَتِمُّ إِطْلَاقُ آلَافِ الحَمَائِمِ في الهَوَاءِ لِتَذْكِيْرِ كُلِّ مَنْ يُتَابِعُ الحَدَثَ بِأَنَّ الهَدَفَ مِنْ تِلْكَ الأَلْعَابِ هُوَ إِشَاعَةُ السَّلَامِ وَالوَحْدَةِ بَيْنَ شُعُوْبِ الأَرْضِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الحَمَامَ رَمْزُ السَّلَامِ.

وَأَخيْراً يُتَابعُ الحَاضِرُوْنَ بِحَمَاسَةٍ وَتَرَقُّبٍ أَحَدَ العَدَّائِيْنَ وَهُوَ يَحْمِلُ شُعْلَةً مِنَ نَارٍ، يَتَنَاوَبُ العَدَّاؤُوْنَ مِنْ مُخْتَلِفِ البُلْدَانِ عَلَى حَمْلِهَا، بَدْءاً مِنْ (أولمبيا) فِي اليُوْنَانِ، حَيْثُ كَانَتْ تُعْقَدُ دَوْرَةُ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ القَدِيْمَةِ، فَيَجْرِي ذَلِكَ العَدَّاءُ الَّذِي يَحْمِلُ تِلْكَ الشُّعْلَةَ، وَيَرْفَعُهَا عَالِياً دَاخِلَ المَلْعَبِ، ثُمَّ تُسْتَخْدَمُ شُعْلَتُهُ لِإِضَاءَةِ الشُّعْلَةِ الأولمبيَّةِ، الَّتِي تَبْقَى مُشْتَعِلَةً حَتَّى نِهَايَةِ فَتْرَةِ الدَّوْرَةِ.

وَلِلْعِلْمِ فَقَطْ، سَتُعْقَدُ دَوْرَةُ الأَلْعَابِ الأولمبيَّةِ القَادِمَةِ عَامَ ٢٠١٢ فِي مَدِيْنَةِ (لندن) بِالمَمْلَكَةِ المُتَّحِدَةِ.



غوتاما بوذا

مُنْذُ أَلْفي سَنَةٍ خَلَتْ، عَاشَ أَميْرٌ يُدْعَى (سودهودهانا) في شَمَالِ الهِنْدِ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ زَعِيْماً لِشَعْبِ (الشاكيا)، وَقَدْ وُلِدَ لِهَذَا الرَّجُلِ وَلِزَوْجِهِ (مايا) صَبِيٌّ أَسْمَيَاهُ (سيدهارثا غوتاما).

وَفي حَفْلِ تَسْمِيَةِ المَوْلُوْدِ، ظَهَرَ رَجُلٌ حَكِيْمٌ، وَأَعْلَنَ عَنْ نُبُوْءَتِهِ بِشَأْنِ ذَلِكَ الطِّفْلِ، فَرَأى أَنَّهُ سَيُصْبِحُ إِمَّا زَعِيْماً عَظِيْماً، وَإِمَّا مَرْجعاً دِيْنِيّاً مُهِمّاً، إِلَّا أَنَّهُ تَنَبَّأَ لَهُ أَيْضاً بِأَنَّهُ لَنْ يُصْبِحَ زَعِيْماً دِيْنِيّاً عَظِيْماً إِلَّا بَعْدَ مُعَانَاةٍ مَرِيْرَةٍ.



كَانَ الأميْرُ (سودهودهانا) يَتمَنَّى أَنْ يُصْبحَ اِبْنُهُ حَاكِماً عَظِيْماً مِثْلَهُ، لِذَا سَعَى جَاهِداً لِحمَايَةِ ابْنِه مِنْ أيِّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يُسَبِّبَ لَهُ المُعَانَاةَ، فَحَبَسَهُ دَاخِلَ القَصْرِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يُسْمَحُ لِلصَّغِيْرِ بِتَجَاوُزِ حَدَائِقِ قَصْرِ وَالِدِه.

وَحِيْنَمَا كَبرَ (غوتاما) شَارَكَ فِي مُسَابَقَةِ رَمْيِ السِّهَامِ، وَفَازَ بِهَا، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ أَصْبَحَ جَدِيْراً بِالزَّوَاجِ مِنَ الأَمِيْرَةِ (ياشودهارا)، فَتزَوَّجَهَا، وَأَنْجَبَ مِنْهَا وَلَداً أَسْمَيَاهُ (راهولا).

وَعِنْدَمَا بَلَغَ (غوتاما) التَّاسِعَةَ وَالعِشْرِيْنَ مِنَ العُمْرِ غَمَرَتْهُ رَغْبَةٌ قَوِيَّةٌ لِرُؤْيَةِ العَالَمِ الخَارِجِيِّ، فَأَقْنَعَ سَائِقَ عَرَبَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنَ القَصْرِ بِالعَرَبَةِ، وَيَأْخُذَهُ لِلْقُرَى المُجَاوِرَةِ.

وَهَكَذَا رَأَى (غوتاما) العَالَمَ وَالحَيَاةَ عَلَى حَقِيْقَتِهِمَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ؛ لأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ يَرَاهُ دَاخِلَ قَصْرِ أَبِيْهِ هُوَ حَيَاةُ التَّرَفِ وَالرَّاحَةِ وَالدَّعَةِ، وَمَعَ أَنَّهُ عَرَفَ فِي قَصْرِ أَبِيْهِ طَعْمَ المَحَبَّةِ العَائِلِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ المَشَاهِدَ فِي العَالَمِ الخَارِجِيِّ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً كُلِّيّاً، فَقَدْ كَانَ هُنَالِكَ الفَقْرُ وَالأَلَمُ وَالمُعَانَاةُ وَالمَوْتُ، وَمِنْ بَيْنِ الأَشْيَاءِ الكَثِيْرَةِ الَّتِي رَآهَا (غوتاما) كَانَتْ تِلْكَ الأُمُوْرُ الأَرْبَعَةُ أَكْثَرَ الأَشْيَاءِ الَّتِي أَثَّرَتْ فِيْهِ، وَتَرَكَتْ فِي نَفْسِهِ انْطِبَاعاً عَمِيْقَ الأَثَرِ، فَقَدْ رَأَى رَجُلاً أَحْنَتْ ظَهْرَهُ السِّنُوْنَ، كَمَا رَأَى رَجُلاً يُعَانِي مِنْ شِدَّةِ المَرَضِ، وَرَأَى جُثَّةَ مَيْتٍ حُمِلَتْ فَوْقَ نَعْشٍ فِي مَوْكِبٍ جَنَائِزِيٍّ، وَرَأَى أَيْضاً رَجُلاً صَالِحاً صَاحِبَ كَرَامَاتٍ.

وَلَقَدْ دَفَعَتْ كُلُّ تِلْكَ المَشَاهِدِ (غوتاما) لِلتَّفَكُّرِ، كَمَا جَعَلَتْ مِنْ حَيَاتِهِ دَاخِلَ القَصْرِ حَيَاةً تَعِيْسَةً حَزِيْنَةً، إِذْ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَعِيْشَ فِي سَعَادَةٍ وَرَاحَةٍ وَسَلَامٍ وَأَبْنَاءُ شَعْبِهِ يُعَانُوْنَ الأَمَرَّيْنِ؟ وَلِمَاذَا يَتَعَيَّنُ عَلَى البَشَرِ أَنْ يُعَانُوْا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ؟

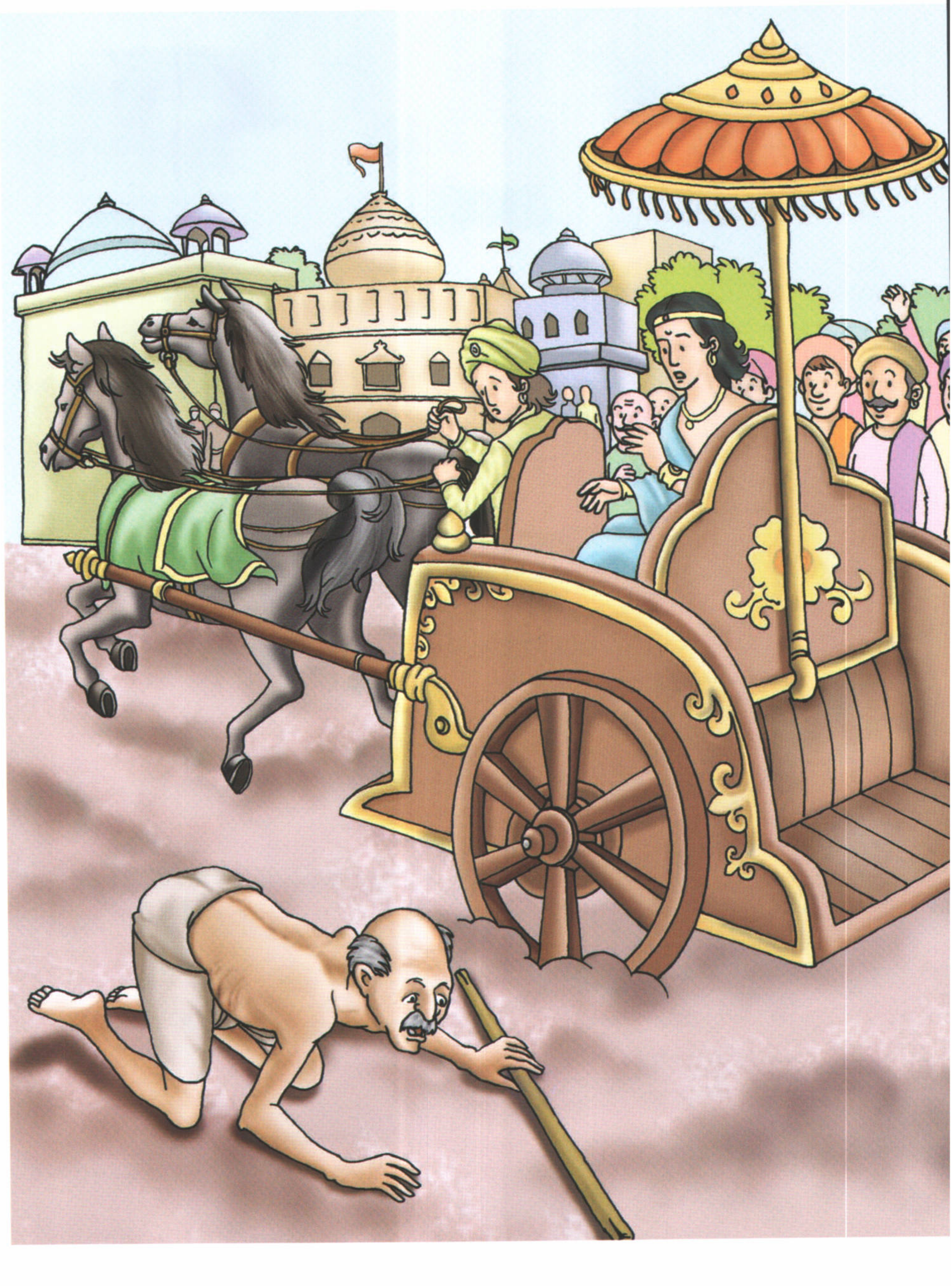
قَرَّرَ (غوتاما) أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً حِيَالَ كُلِّ مَا رَآهُ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَجِدَ حَلّاً، أَوْ جَوَاباً لِتِلْكَ التَّسَاؤُلَاتِ الَّتِي تَفَتَّقَ عَنْهَا ذِهْنُهُ، فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيْقَةَ الحَيَاةِ وَالمَوْتِ وَالمُعَانَاةِ.

وَهَكَذَا اتَّخَذَ (غوتاما) قَرَارَهُ بِمُغَادَرَةِ البَيْتِ الَّذِي نَشَأَ وَتَرَبَّى فِيْهِ، فَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي، بَيْنَمَا كَانَ جَمِيْعُ مَنْ فِي القَصْرِ يَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيْقٍ، حَمَلَ (غوتاما) أَثْوَابَهُ، وَجَوَاهِرَهُ الثَّمِيْنَةَ، وَلَبِسَ ثِيَابَ الزُّهَّادِ وَرِجَالِ الدِّيْنِ، وَتَسَلَّلَ مِنَ القَصْرِ تَارِكاً زَوْجَهُ وَابْنَهُ.

مَشَى (غوتاما) مَسَافَاتٍ طَوِيْلَةً، وَأَخَذَ يُرَاقِبُ خِلَالَ مَسِيْرِهِ المَشَاهِدَ الَّتِي كَانَتْ تُصَادِفُهُ، وَبَدَأَ يَتَفَكَّرُ فِي الحَيَاةِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى غَابَةٍ فِي نِهَايَةِ المَطَافِ، وَهُنَاكَ قَرَّرَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِلتَّأَمُّلِ، فَقَدْ كَانَ يَبْحَثُ عَنْ طَرِيْقٍ لإِحْلَالِ السَّلَامِ، وَلِلتَّوَصُّلِ إِلَى حَيَاةٍ خَالِيَةٍ مِنَ المُعَانَاةِ.

جَرَّبَ (غوتاما) الكَثِيْرَ مِنَ السُّبُلِ لِبُلُوْغِ السَّلَامِ وَتَحْقِيْقِهِ، حَيْثُ رَفَضَ أَنْ يَنْقَادَ لاحْتِيَاجَاتِهِ البَدَنِيَّةِ، وَأَخَذَ يَتَنَاوَلُ كَمِّيَّاتٍ ضَئِيْلَةً مِنَ الطَّعَامِ، حَتَّى أَصْبَحَ جَسَدُهُ هَزِيْلاً وَضَعِيْفاً، غَيْرَ أَنَّهُ أَدْرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ تَحَوُّلَهُ إِلَى هَيْكَلٍ عَظْمِيٍّ لَنْ يُفِيْدَهُ فِي بُلُوْغِ حَالَةِ السَّلَامِ الَّتِي يَنْشُدُهَا، لِذَا قَرَّرَ أَنْ يَسْلُكَ السَّبِيْلَ الوَسَطَ بَيْنَ حَيَاةِ الرَّفَاهِيَةِ وَالفَقْرِ المُدْقِعِ.

وَخِلَالَ جَوْلَاتِهِ فِي الغَابَةِ وَصَلَ (غوتاما) إِلَى تُخُوْمِ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِقَرْيَةِ (غايا) فِي الهِنْدِ، فَجَلَسَ هُنَاكَ لِيَتَأَمَّلَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ، وَبَقِيَ جَالِساً مُتَرَبِّعاً طِيْلَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ، وَيُفَكِّرُ بِالتَّوَصُّلِ إِلَى سَبِيْلٍ يَصِلُ مِنْ خِلَالِهِ إِلَى السَّلَامِ، وَأَخِيْراً اكْتَشَفَ (غوتاما) حَقِيْقَةَ الحَيَاةِ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا فِيْمَا بَعْدُ "شَجَرَةَ التَّنْوِيْرِ"، وَأَصْبَحَتْ تِلْكَ البُقْعَةُ تُعْرَفُ بِاسْمِ: "قَرْيَةِ التَّنْوِيْرِ"، وَمُنْذُ ذَلِكَ الحِيْنِ أَصْبَحَ (غوتاما) يُعْرَفُ بِاسْمِ (بوذا)، الَّذِي يَعْنِي: الرَّجُلَ المُتَنَوِّرَ، وَأَصْبَحَ أَتْبَاعُهُ يُعْرَفُوْنَ بِالبُوْذِيِّيْنَ.





وَحِيْنَمَا وَجَدَ (غوتاما) التَّنْوِيْرَ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، تَمَكَّنَ مِنْ فَهْمِ الحَقِيْقَةِ القَائِلَةِ: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِشَيْءٍ أَنْ يَدُوْمَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، فَكُلُّ شَيْءٍ، وَكُلُّ النَّاسِ عُرْضَةٌ لِلتَّغْيِيْرِ، فَالرَّضِيْعُ يَتَغَيَّرُ لِيُصْبِحَ طِفْلاً، وَالطِّفْلُ يَكْبَرُ لِيُصْبِحَ شَابّاً، وَالشَّابُّ يَكْبَرُ لِيُصْبِحَ رَجُلاً، وَهَذَا مَا يُعَبِّرُ عَنْهُ الفَنُّ البُوْذِيُّ مِنْ خِلَالِ العَجَلَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ العَجَلَةَ تُوَاصِلُ عَمَلِيَّةَ الدَّوَرَانِ طِيْلَةَ الوَقْتِ.

كَانَ (غوتاما بوذا) يُعَلِّمُ أَتْبَاعَهُ بِأَنَّنَا يَجِبُ أَلَّا نُعْطِيَ أَهَمِّيَّةً كَبِيْرَةً لِأَنْفُسِنَا طَالَمَا أَنَّنَا نَتَغَيَّرُ دَائِماً؛ لِأَنَّنَا إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ فَلَابُدَّ أَنْ نُعَانِيَ وَنَتْعَبَ، وَتِلْكَ المُعَانَاةُ تَأْتِي حِيْنَمَا يَسْتَحْكِمُ الجَهْلُ فِيْنَا، وَيُسَيْطِرُ عَلَى عُقُوْلِنَا؛ إِضَافَةً إِلَى سَيْطَرَةِ الأَهْوَاءِ وَالرَّغَبَاتِ وَالكَرَاهِيَةِ وَالجَشَعِ عَلَى قُلُوْبِنَا وَنُفُوْسِنَا، وَحِيْنَمَا نَتَخَلَّصُ مِنْ تِلْكَ الشُّرُوْرِ كُلِّهَا، عِنْدَهَا يُمْكِنُ أَنْ نَجِدَ السَّعَادَةَ الَّتِي تُمَثِّلُ حَالَةً مِنَ السَّلَامِ وَالهُدُوْءِ وَالطُّمَأْنِيْنَةِ.

وَلَكِنْ هَلْ تَعْلَمُ يَا عَزِيْزِي القَارِئَ بِأَنَّ البُوْذِيِّيْنَ يُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِعِبَارَةِ: "عَسَى أَنْ تَعُمَّ السَّعَادَةُ جَمِيْعَ الكَائِنَاتِ"، بَدَلاً مِنْ أَنْ يَقُوْلُوْا: "صَبَاحُ الخَيْرِ" أَوْ "مَرْحَباً"؟

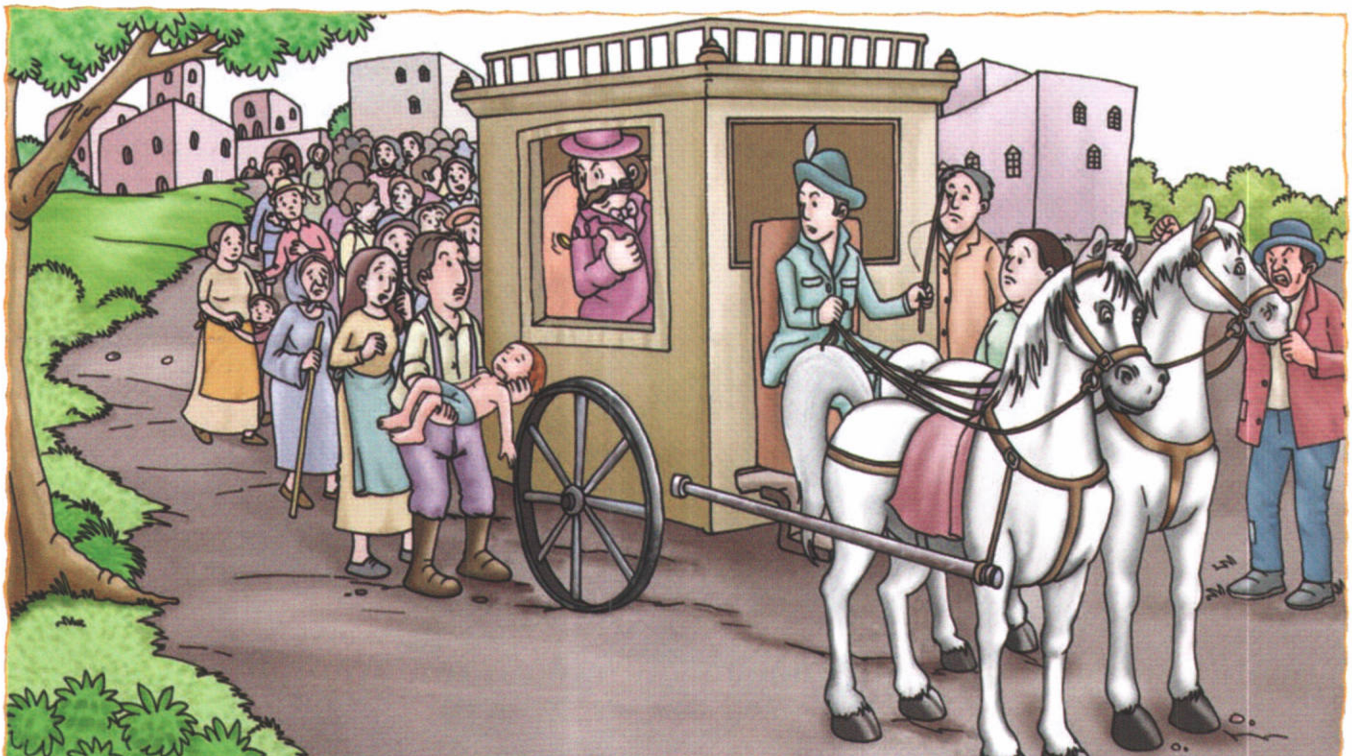
قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ

كَانَ "ماركيز" مَدِيْنَةِ (إيفرموند) رَجُلاً مَغْرُوْراً، حَيْثُ كَانَ كُلَّمَا خَرَجَ بِعَرَبَتِهِ فِي شَوَارِعِ (باريس) الضَّيِّقَةِ وَالمُكْتَظَّةِ بِالبَشَرِ؛ يُهْرَعُ الفُقَرَاءُ إِلَى الرَّصِيْفِ المُقَابِلِ مَخَافَةَ أَنْ تَدُوْسَهُمْ أَحْصِنَةُ عَرَبَتِهِ بِسَنَابِكِهَا، فَهَؤُلَاءِ الفُقَرَاءُ لَا يُمَثِّلُوْنَ لِـ(الماركيز) أَكْثَرَ مِنْ ذُبَابٍ يَتَزَاحَمُ فَوْقَ القَذَارَةِ، وَلَا يُفَرِّقُهُ سِوَى الإِحْسَاسِ بِالخَطَرِ، لِيَعُوْدَ مُجَدَّداً إِلَى القَذَارَةِ الَّتِي كَانَ فِيْهَا، لِذَا لَمْ يَكُنْ يَطْلُبُ مِنْ حُوْذِيِّ العَرَبَةِ أَنْ يُخَفِّفَ السُّرْعَةَ، بَلْ كَانَ يَسْتَمْتِعُ بِالسُّرْعَةِ الجُنُوْنِيَّةِ الَّتِي تَنْدَفِعُ بِهَا العَرَبَةُ.

فَعِنْدَمَا كَانَتْ عَرَبَةُ (الماركيز) تُسْرِعُ فِي الشَّوَارِعِ دُوْنَ أَنْ تُخَفِّفَ مِنْ سُرْعَتِهَا فِي حَالَاتِ الدَّوَرَانِ أَوِ الانْعِطَافِ، كَانَ النِّسَاءُ يَبْدَأْنَ بِالصُّرَاخِ، وَيَتْبَعُهُنَّ الرِّجَالُ بِالصِّيَاحِ؛ وَذَلِكَ لِتَنْبِيْهِ أَوْلَادِهِمْ لِلْابْتِعَادِ عَنْ مَصْدَرِ الخَطَرِ، وَلَكِنْ فِي هَذِهِ المَرَّةِ تَوَقَّفَتِ العَرَبَةُ فَجْأَةً بَعْدَمَا صَدَمَتْ شَيْئاً مَا، تَبِعَ ذَلِكَ صَرْخَةٌ مُدَوِّيَةٌ أَطْلَقَهَا كُلُّ مَنْ تَجَمْهَرَ فِي ذَلِكَ المَكَانِ، ثُمَّ أَخَذَتِ الخُيُوْلُ تَصْهَلُ مَذْعُوْرَةً.

وَسُرْعَانَ مَا اجْتَمَعَ حَشْدٌ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِيْنَ أَمْسَكُوْا بِالخُيُوْلِ، وَمَنَعُوْهَا مِنَ الحَرَكَةِ بَعْدَمَا دَاسَتْ بِحَوَافِرِهَا طِفْلاً، وَأَرْدَتْهُ قَتِيْلاً، وَهُنَاكَ أَكَبَّ رَجُلٌ فَوْقَ جُثَّةِ الطِّفْلِ، وَبَكَى بُكَاءً مَرِيْراً، ثُمَّ حَمَلَهُ، وَوَاصَلَ بُكَاءَهُ وَهُوَ يَصْرُخُ بِمَنْ حَوْلَهُ: "لَقَدْ قُتِلَ، لَقَدْ مَاتَ ابْنِي!".

وَعِنْدَهَا تَجَمْهَرَ النَّاسُ حَوْلَ العَرَبَةِ، وَأَخَذُوْا يُحَدِّقُوْنَ بِصَمْتٍ فِي وَجْهِ (الماركيز).



غَيْرَ أَنَّ (الماركيز) أَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ جُرْذَانٌ لَابُدَّ مِنَ القَضَاءِ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَمَى لِلْجَمْعِ المُحْتَشِدِ قِطْعَةً ذَهَبِيَّةً، وَكَأَنَّهُ كَانَ بِذَلِكَ يَدْفَعُ ثَمَنَ شَيْءٍ كَسَرَهُ.

فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ قَدِمَ شَخْصٌ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ إِلَى مَوْقِعِ الحَدَثِ، لَكِنَّهُ كَانَ مُخْتَلِفاً عَنِ البَقِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِشَجَاعَةٍ وَجُرْأَةٍ قَلَّ نَظِيْرُهُمَا، فَمَشَى بَيْنَ صُفُوْفِ الجَمْعِ المُحْتَشِدِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى (الماركيز)، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَجْهاً لِوَجْهٍ، بَيْنَمَا كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي فَقَدَ ابْنَهُ فِي تِلْكَ الحَادِثَةِ يَنْتَحِبُ، وَدُمُوْعُهُ تَرْوِي قِصَّةَ الرُّعْبِ وَالوَيْلِ الَّتِي عَاشَهَا مَرَّةً أُخْرَى.

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغَ المَفْجُوْعُ مِنْ سَرْدِ قِصَّتِهِ، هَتَفَ بِهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ قَائِلاً: "كُنْ شُجَاعاً يَا (غاسبر)، فَالأَفْضَلُ لِابْنِكَ أَنْ يَمُوْتَ عَلَى أَنْ يَعِيْشَ الحَيَاةَ الَّتِي نَحْيَاهَا".

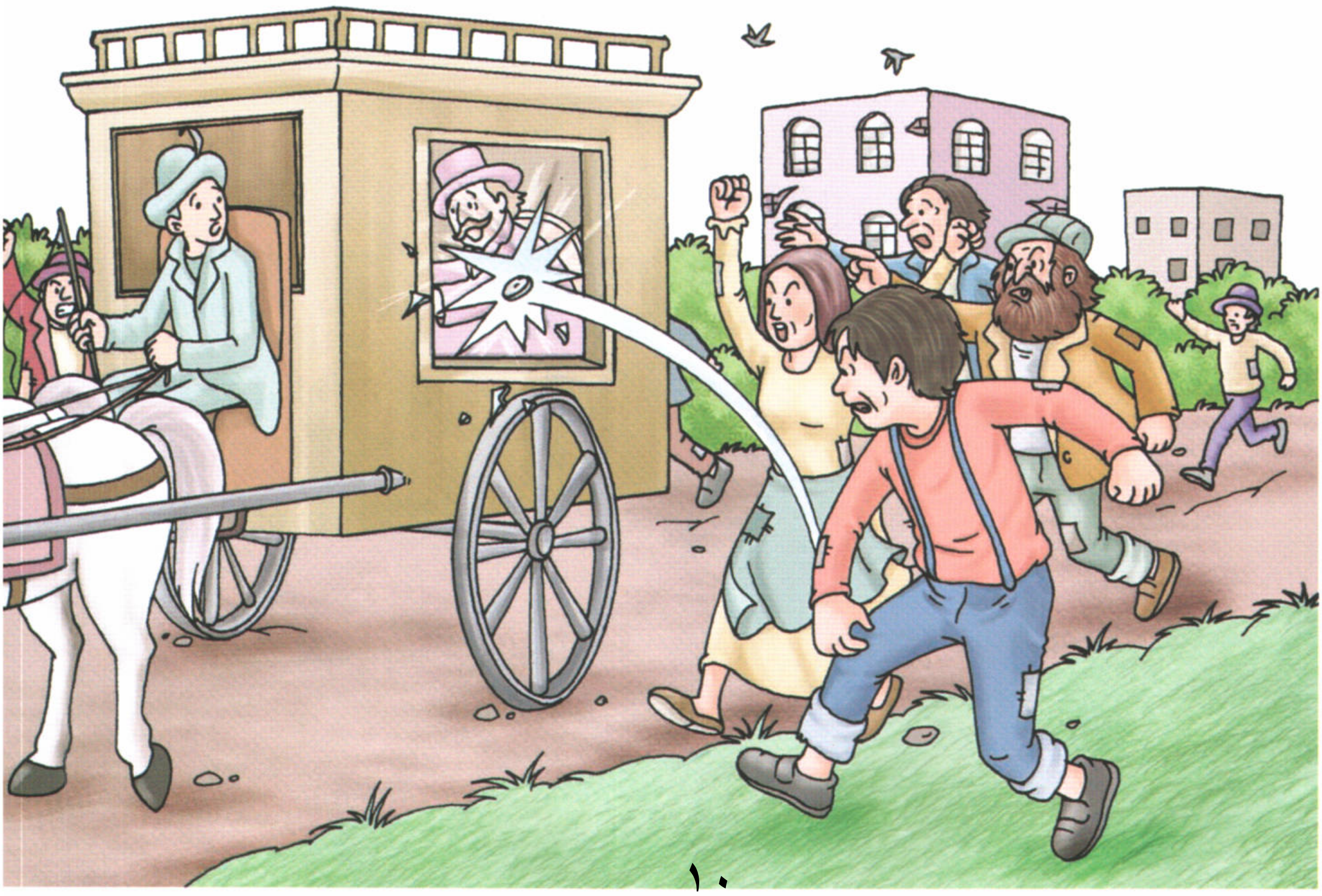
عِنْدَهَا ضَحِكَ (الماركيز) ضِحْكَةَ اسْتِهْزَاءٍ، وَعَلَّقَ عَلَى كَلَامِ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ: "لَقَدْ قُلْتَ فَأَنْصَفْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الحَكِيْمُ، مَا اسْمُكَ؟" رَدَّ الرَّجُلُ: "دوفارج".

سَأَلَهُ (الماركيز): "وَبِمَاذَا تَعْمَلُ يَا (دوفارج)؟"

أَجَابَ (دوفارج): "أَبِيْعُ الحَلِيْبَ يَا سَيِّدِي".

عِنْدَ ذَلِكَ رَمَى (الماركيز) قِطْعَةً ذَهَبِيَّةً أُخْرَى لِـ(دوفارج)، ثُمَّ اسْتَوَى فِي مَجْلِسِهِ بِهُدُوْءٍ، وَطَلَبَ مِنْ سَائِقِ العَرَبَةِ أَنْ يَنْطَلِقَ، وَفَجْأَةً، قُذِفَتِ القِطْعَةُ الذَّهَبِيَّةُ بِاتِّجَاهِ العَرَبَةِ، وَارْتَطَمَتْ بِالأَرْضِ مُحْدِثَةً صَوْتَ قَرْقَعَةٍ قَوِيَّةٍ.

عِنْدَئِذٍ صَرَخَ (الماركيز) مِنْ فَوْرِهِ: "تَوَقَّفْ! مَنِ الَّذِي رَمَى بِتِلْكَ القِطْعَةِ النَّقْدِيَّةِ؟"





ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الجَمْعِ المُحْتَشِدِ، فَلَمْ يَرَ بَيْنَهُمْ بائِعَ الحَلِيبِ، بَلْ شاهَدَ امْرَأَةً أَخَذَتْ تَنْشُجُ قُرْبَ الأَبِ المَفْجُوعِ.

فَصَرَخَ فِيهِمُ (الماركيز) مَسْعُوراً: "أَنْتُمْ أَيُّها الكِلابُ! سَأَرْكَبُ عَرَبَتِي وَأَدُوسُكُمْ جَمِيعاً، أَخْبِرُونِي مَنِ الَّذِي رَمَى القِطْعَةَ النَّقْدِيَّةَ لِأَسْحَقَهُ تَحْتَ عَجَلاتِ عَرَبَتِي"، ثُمَّ مَضَى بِعَرَبَتِهِ بَعِيداً لَمَّا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

كانَ حالُ ذَلِكَ (الماركيز) وَتَصَرُّفاتُهُ تُشْبِهُ حالَ طَبَقَةِ النُّبَلاءِ الثَّرِيَّةِ فِي عُمُومِ (فرنسا)، حَيْثُ بَقِيَتْ تِلْكَ الطَّبَقَةُ تُعامِلُ الفُقَراءَ مِنَ النّاسِ أَسْوَأَ مُعامَلَةٍ.

تابَعَ (الماركيز) رِحْلَتَهُ، إِذْ كانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ مِنْ إِحْدَى القُرَى الَّتِي يَسْكُنُها فُقَراءُ مُعْظَمُهُمْ كانَ عَلَى وَشْكِ المَوْتِ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ، وَكانَ النِّساءُ فِي تِلْكَ القَرْيَةِ يَجْلِسْنَ عِنْدَ عَتَباتِ بُيُوتِهِنَّ، وَيُقَطِّعْنَ بَقايا الخُضارِ المُتَعَفِّنَةِ الَّتِي سَيَطْبُخْنَها لِوَجْبَةِ العَشاءِ، فِيما كانَ أُخْرَياتٌ يَغْسِلْنَ الأَسْمالَ وَالخِرَقَ البالِيَةَ لِأَفْرادِ عائِلاتِهِنَّ.

كانَ المَلِكُ وَطَبَقَةُ النُّبَلاءِ يَفْرِضُونَ ضَرائِبَ باهِظَةً عَلَى هَؤُلاءِ السُّكّانِ الفُقَراءِ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى هَؤُلاءِ أَيُّ أَمَلٍ بِتَحْصِيلِ ما يَكْفِيهِمْ مِنَ الطَّعامِ لِأُسَرِهِمْ، وَلِذا كانَ مُعْظَمُهُمْ يَرَى فِي المَوْتِ راحَةً لَهُ.

كانَ الفُقَراءُ فِي (فرنسا) يَخْشَوْنَ مِنْ كُلِّ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى طَبَقَةِ النُّبَلاءِ الثَّرِيَّةِ، لا بَلْ وَيَكْرَهُونَهُمْ أَيْضاً، وَقَدِ اسْتَمَرَّ ذَلِكَ الوَضْعُ سَنَواتٍ طَوِيلَةً، كَما تَفاقَمَ ذَلِكَ مَعَ مُرُورِ الأَيّامِ، فَلَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ الحالَةُ المُزْرِيَةُ الَّتِي كانَ الفُقَراءُ يُعانُونَ مِنْها، جَعَلَتْهُمْ عَلَى اسْتِعْدادٍ لِفِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ الخَلاصِ مِنْ ذَلِكَ الوَضْعِ اللَّعِينِ،

وَمَع تَعاظُم إحْسَاسِهِمْ بالشَّقَاء وَالحِقْدِ والكَرَاهِيَة، قَرَّرَتِ الطَّبَقَةُ الفَقِيْرَةُ أَنْ تَثْأَرَ لِنَفْسِهَا، غيْرَ أَنَّ الثَّأرِ لا يُوَلِّدُ سِوَى العُنْفِ، وَيُزَعْزِعُ حَالَةَ السِّلْم، وَلَكِنْ كَانَ الأَغْنِيَاءُ -بِنَظَرِهِمْ- لَا يَسْتَحِقُّوْنَ أَنْ يَنْعَمُوْا بِالسَّلَامِ، أَمَّا الفُقَرَاءُ فَلَمْ يَنْعَمُوْا بِهِ أَصْلاً، وَقَدْ كَانَ الخَوْفُ السَّبَبَ الوَحِيْدَ وَرَاءَ صَمْتِهِمْ وَسُكُوْتِهِمْ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ الظُّلْم.

وَلَكِن اخْتَفَى كُلُّ ذَلِكَ الخَوْفُ فَجْأَةً، وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَجَمَّعَ حَشْدٌ غَفِيْرٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ الغَاضِبِيْنَ فِي مُقَاطَعَةِ (سان أنطوان)، وَقَدْ حَمَلُوْا مَعَهُمْ فُؤُوْسَهُمْ، وَسَكَاكِيْنَهُمْ، وَسُيُوْفَهُمْ، وَبَنَادِقَهُمُ الَّتِي أَخَذَتْ تَلْمَعُ بِشَكْلٍ مُرْعِبٍ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، وَبَدَا كُلُّ شَخْصٍ مِنْهُمْ مُخِيْفاً، وَبِهِ مَسٌّ مِنَ الجُنُوْنِ، فَقَدْ كَانَ الحِقْدُ وَالغَضَبُ يَمْلأُ قُلُوْبَهُمْ، حَيْثُ كَانُوْا عَلَى أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ لِخَوْضِ مَعْرَكَةٍ دَمَوِيَّةٍ مَعَ هَذِهِ الطَّبَقَةِ الَّتِي تَأْكُلُ حُقُوْقَهُمْ، وَتَتَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَتَظْلِمُهُمْ، وَكَانَ (دوفارج) يَتَوَسَّطُ ذَلِكَ الحَشْدَ، فَيُوَجِّهُهُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ، وَيُوَزِّعُ عَلَيْهِمُ السِّلَاحَ أَيْضاً.

وَفِي خِضَمِّ كُلِّ ذَلِكَ رَفَعَ (دوفارج) سَيْفَهُ عَالِياً، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ الَّذِي بَدَا مُرْعِباً: "إِلَى البَاستيلِ!" فَتَبِعَتْهُ صَرَخَاتُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ كَالصَّدَى، فَرَدَّدُوْا مِنْ بَعْدِهِ قَائِلِيْنَ: "إِلَى البَاستيلِ!"، وَأَخَذُوْا يَنْدَفِعُوْنَ نَحْوَ الأَمَامِ عَلَى صَوْتِ قَرْعِ الطُّبُوْلِ، وَرَنِيْنِ الأَجْرَاسِ.

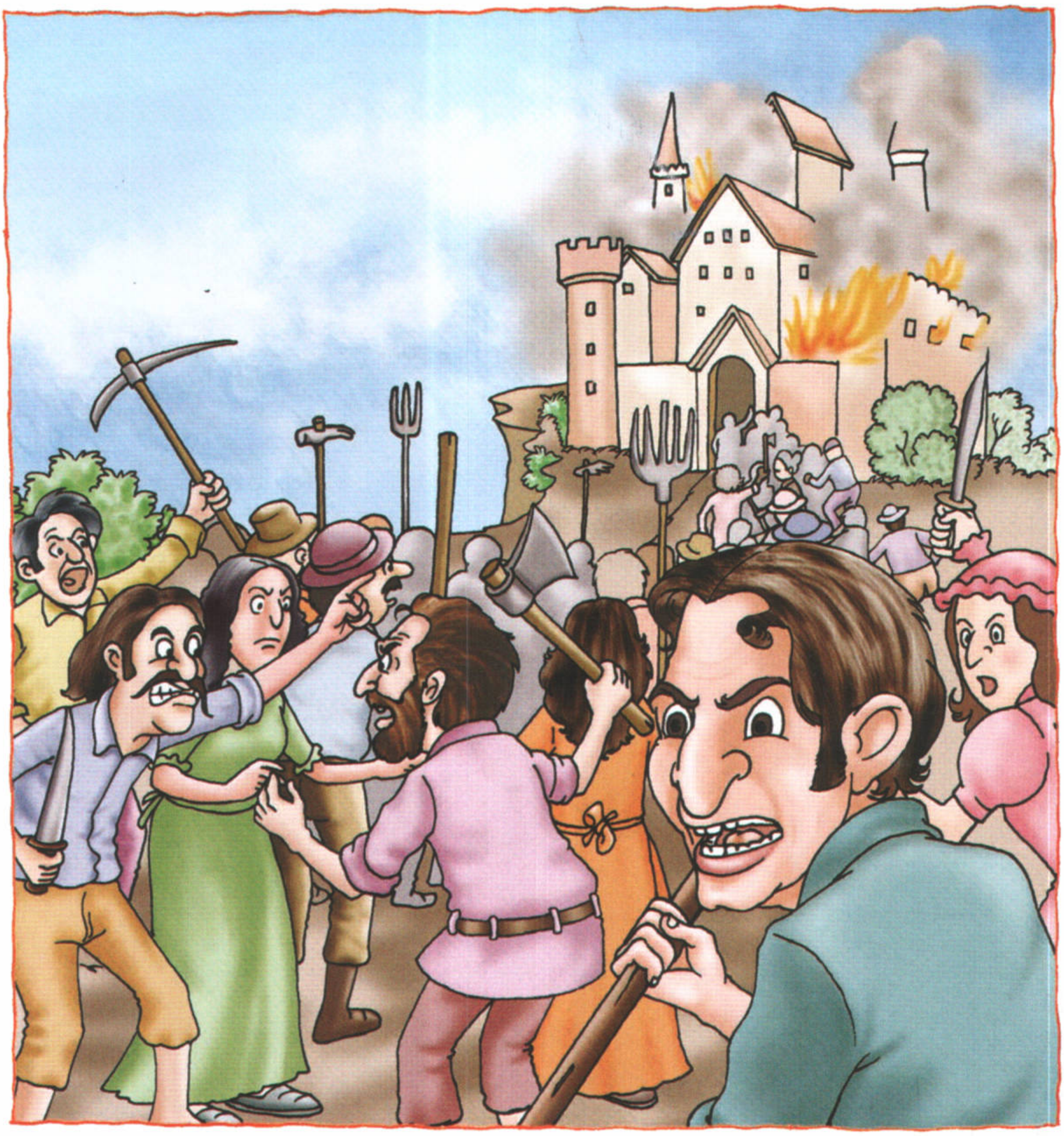
وَمَا البَاستيلُ إِلَّا سِجْنٌ حُبِسَ فِيْهِ مِئَاتٌ مِنَ الفُقَرَاءِ مِمَّنْ ثَبَتَ تَوَرُّطُهُمْ بِتُهَمٍ صَغِيْرَةٍ، لَكِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ مَسْجُوْناً تَعَسُّفِيّاً دُوْنَ أَيِّ تُهْمَةٍ.

وَلَقَدْ أَثَارَ الجَمْعُ المُتَّجِهُ نَحْوَ سِجْنِ البَاستيلِ الرُّعْبَ فِي القُلُوْبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ حَشْداً غَفِيْراً يَبْدُوْ كَجَيْشٍ جَرَّارٍ، لَمْ تُثْنِهِ الجُدْرَانُ الحَجَرِيَّةُ الضَّخْمَةُ لِلسِّجْنِ، وَأَبْرَاجُهُ العَالِيَةُ عَنِ المُضِيِّ قُدُماً فِيْمَا عَقَدَ العَزْمَ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَتْ رَائِحَةُ النَّارِ وَالدُّخَانِ، فَضْلاً عَنْ صَرَخَاتِ الجَمْعِ الغَاضِبِ، تَمْلأُ الأَجْوَاءَ، حَيْثُ تَمَّ إِحْرَاقُ أَكْوَامٍ هَائِلَةٍ مِنَ القَشِّ تَحْتَ بَوَّابَاتِ السِّجْنِ، فِيْمَا صَرَخَ المُتَجَمْهِرُوْنَ، وَأَطْلَقُوْا الشَّتَائِمَ أَثْنَاءَ اقْتِحَامِ تِلْكَ البَوَّابَاتِ، وَكَسَرُوْهَا.

وَبَعْدَ مُرُوْرِ بِضْعِ سَاعَاتٍ سَقَطَ سِجْنُ البَاستيلِ أَخِيْراً بِأَيْدِي الثُّوَّارِ، فَحَرَّرُوْا السُّجَنَاءَ الَّذِيْنَ كَانَ الأَغْنِيَاءُ السَّبَبَ فِي اعْتِقَالِهِمْ وَسَجْنِهِمْ.

كَانَ ذَلِكَ فِي عَامِ ١٧٨٩، وَهَكَذَا بَدَأَتِ الثَّوْرَةُ الفَرَنْسِيَّةُ الَّتِي دَخَلَتِ التَّارِيْخَ.

وَبَعْدَ تَحْرِيْرِ سِجْنِ البَاستيلِ تَمَكَّنَ الفُقَرَاءُ الَّذِيْنَ كَانُوْا يُعَامَلُوْنَ أَسْوَأَ مُعَامَلَةٍ طِيْلَةَ السَّنَوَاتِ المَاضِيَةِ مِنَ الأَخْذِ بِالثَّأْرِ، فَكَانَ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي حَاوَلَ الجَمْعُ اسْتِهْدَافَهَا شَخْصٌ يُدْعَى (فولون)، حَيْثُ هَتَفَ أَحَدُهُمْ: "لَقَدْ قَتَلَ (فولون) الشِّرِّيْرُ أُخْتِي"، بَيْنَمَا صَاحَ آخَرُ: "وَأَنَا قَتَلَ أُمِّي"، وَعِنْدَمَا سَمِعَتْ إِحْدَى النِّسْوَةِ بِاسْمِهِ بَدَأَتْ تَصْرُخُ وَتَشُدُّ شَعْرَهَا بِطَرِيْقَةٍ هِسْتِيْرِيَّةٍ، وَهِيَ تَصِيْحُ شَاكِيَةً بَاكِيَةً: "أَوَ مَازَالَ (فولون) حَيّاً؟ نُرِيْدُ رَأْسَهُ! لَقَدْ أَمَرَ (فولون) وَالِدِي بِتَنَاوُلِ العُشْبِ حِيْنَمَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا مَا يَكْفِيْنَا مِنَ الخُبْزِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُطْعِمَ رَضِيْعِي العُشْبَ حِيْنَمَا لَمْ يَكْفِهِ اللَّبَنُ الَّذِي كُنْتُ أُرْضِعُهُ إِيَّاهُ، لِذَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ تُطْعِمُوْا ذَلِكَ الشَّيْطَانَ مِنَ العُشْبِ، وَأَنْ



تَدْفِنُوهُ بِحَيْثُ يَتَمَكَّنُ بَدَنُهُ النَّتِنُ مِنَ التَّغَذِّي عَلَى تِلْكَ الأَعْشَابِ".

وَهكَذَا اِسْتَمَرَّ الهِيَاجُ بَيْنَ صُفُوفِ ذَلِكَ الحَشْدِ الَّذِي لَمْ تَهْدَأْ لَهُ ثَائِرَةٌ.

اِسْتَمَرَّتِ الثَّوْرَةُ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ بَعْدَ اِقْتِحَامِ البَاسْتِيلِ، إِلَّا أَنَّ جُمُوحَهَا وَجُنُونَهَا أَخَذَ يَتَعَاظَمُ أَكْثَرَ فَأَكْثَر، حَيْثُ حَاصَرَتِ الجُمُوعُ الغَاضِبَةُ قَصْرَ المَلِكِ، مَا أَجْبَرَهُ عَلَى التَّخَلِّي عَنْ عَرْشِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مَكْسَباً مِنَ المَكَاسِبِ الَّتِي حَقَّقَهَا الشَّعْبُ الفَرَنْسِيُّ بِإِرَادَتِهِ الحُرَّةِ.

بَيْدَ أَنَّ تِلْكَ الأَوْقَاتَ كَانَتْ عَصِيبَةً جِدّاً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرْحَلَةَ تَصْفِيَةِ قُلُوبِ هَذَا الشَّعْبِ الفَقِيرِ المُضْطَهَدِ مِمَّا أَصَابَهَا كَانَتْ تَحْتَاجُ لِسِنِينَ طَوِيلَةٍ، وَكَذَلِكَ الأَمْرُ فِي عَمَلِيَّةِ إِحْلَالِ السَّلَامِ فِي البِلَادِ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَا يُمْكِنُ لِلسِّلْمِ وَالأَمَانِ أَنْ يَتَحَقَّقَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَشْفَى العُقُولُ وَالأَجْسَادُ مِنْ أَمْرَاضِهَا، وَتَعُودَ إِلَى صِحَّتِهَا، وَلَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ إِلَّا حِينَمَا تُلَبَّى الحَاجَاتُ الأَسَاسِيَّةُ لِلنَّاسِ، وَتُقَامَ العَدَالَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتُنْزَعَ القَسْوَةُ مِنْ قُلُوبِ البَشَرِ.

(مهاتما غاندي) وَ(أدولف هتلر)

مُنْذُ أَمَدٍ لَيسَ بِبَعِيْدٍ نَاضَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَجْلِ بَلَدَيْهِمَا، وَكَانَ هَدَفُهُمَا وَاحِداً، إِلَّا أَنَّهُمَا سَلَكَا فِي سَبِيْلِ تَحْقِيْقِهِ طُرُقاً وَأَسَالِيْبَ مُخْتَلِفَةً، حَيْثُ لَجَأَ أَحَدُهُمَا إِلَى أُسْلُوْبِ الحَرْبِ، بَيْنَمَا اِعْتَمَدَ الآخَرُ عَلَى الطَّرِيْقَةِ السِّلْمِيَّةِ اللَّاعُنْفِيَّةِ، وَلَقَدِ انْتَهَى الأَمْرُ بِالرَّجُلِ الَّذِي لَجَأَ إِلَى الحُرُوْبِ بِالفَشَلِ الذَّرِيْعِ، كَمَا أَصْبَحَ مَكْرُوْهاً بَيْنَ مُعْظَمِ شُعُوْبِ الأَرْضِ، وَذَلِكَ لِقَسْوَتِهِ وَافْتِقَادِهِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اِعْتَمَدَ عَلَى الطَّرِيْقَةِ السِّلْمِيَّةِ البَعِيْدَةِ عَنِ العُنْفِ قَدْ كَسِبَ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ، وَأَصْبَحَ مَحْبُوْباً وَمُحْتَرَماً مِنْ قِبَلِ شُعُوْبِ الأَرْضِ كُلِّهَا.

كَانَ (أدولف هتلر) هُوَ الرَّجُلَ الَّذِي لَجَأَ إِلَى العُنْفِ، بَيْنَمَا كَانَ (موهنداس كارامشاند غاندي) هُوَ مَنْ آمَنَ بِمَبْدَأِ اللَّاعُنْفِ سَبِيْلاً لِتَحْقِيْقِ غَايَاتِهِ.

كَانَ (هتلر) حَاكِماً أَلْمَانِيّاً مُسْتَبِدّاً وَقَاسِياً، كَمَا كَانَ عُنْصُرِيّاً أَيْضاً؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُؤْمِنُ بِتَفَوُّقِ العِرْقِ الآرِيِّ عَلَى سَائِرِ الأَعْرَاقِ البَشَرِيَّةِ الأُخْرَى، وَكَانَ يُصَنِّفُ اليَهُوْدَ وَالسُّوْدَ فِي أَدْنَى دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ السُّلَّمِ الاِجْتِمَاعِيِّ وَالعِرْقِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَطْمَحُ فِي أَنْ تَتَحَوَّلَ أَلْمَانيا إِلَى أَرْقَى دَوْلَةٍ فِي العَالَمِ، وَأَفْضَلِ بَلَدٍ فِي الأَرْضِ، لِذَا قَرَّرَ تَدْمِيْرَ سَائِرِ الشُّعُوْبِ الأُخْرَى الَّتِي كَانَ يَعُدُّهَا أَدْنَى مِنَ العِرْقِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ الشَّعْبُ الأَلْمَانِيُّ، وَقَضَى (هتلر) -كَذَلِكَ- عَلَى سِتَّةِ مَلَايِيْنَ يَهُوْدِيٍّ فِيْمَا يُعْرَفُ بِالمَحْرَقَةِ (الهولوكوست) الَّتِي أَقَامَهَا لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُمْ، بَيْدَ أَنَّ تِلْكَ الأَفْعَالَ المُنْكَرَةَ لَمْ تُسَاعِدْهُ عَلَى كَسْبِ الحُرُوْبِ الَّتِي خَاضَهَا، بَلْ كَانَتِ السَّبَبَ الَّذِي دَفَعَ العَالَمَ بِأَسْرِهِ لِأَنْ يَنْقَلِبَ ضِدَّهُ، وَيُحَارِبَهُ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ.

وَفِي الوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيْهِ (هتلر) يُذْكِي نَارَ العُنْصُرِيَّةِ، وَيُشَجِّعُ النَّاسَ عَلَى مُمَارَسَتِهَا، كَانَ (غاندي) يُبَشِّرُ بِرِسَالَةِ الحُبِّ وَالأُخُوَّةِ، وَبِنَشْرِ السَّلَامِ بَيْنَ مُخْتَلِفِ أَصْنَافِ البَشَرِ وَالدُّوَلِ وَالمُجْتَمَعَاتِ، فَقَدْ كَانَ المُجْتَمَعُ الهِنْدِيُّ مُقَسَّماً إِلَى طَبَقَاتٍ مُتَمَايِزَةٍ، فَكَانَتْ بَعْضُ الطَّبَقَاتِ تَنْظُرُ إِلَى الطَّبَقَاتِ الأُخْرَى -الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِالطَّبَقَاتِ المَنْبُوْذَةِ- نَظْرَةً دُوْنِيَّةً، فَحَاوَلَ (غاندي) إِشَاعَةَ جَوٍّ مِنَ السَّلَامِ، وَذَلِكَ بِإِظْهَارِ اللُّطْفِ وَالمَوَدَّةِ تُجَاهَ تِلْكَ الطَّبَقَاتِ المَنْبُوْذَةِ.

هَذَا، وَلَقَدْ تَأَثَّرَ (غاندي) كَثِيْراً بِتَعَالِيْمِ السَّيِّدِ المَسِيْحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي كَانَ يَنْصَحُ أَتْبَاعَهُ، وَيَقُوْلُ لَهُمْ: "إِذَا ضَرَبَكَ أَحَدُهُمْ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ، فَأَدِرْ لَهُ الخَدَّ الأَيْسَرَ بَدَلاً مِنْ أَنْ تَلْطِمَهُ أَنْتَ أَيْضاً"، وَكَانَ السَّيِّدُ المَسِيْحُ يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ بِالعَفْوِ وَالصَّفْحِ بَدَلاً مِنَ الأَخْذِ بِالثَّأْرِ، وَهَذَا مَا بَشَّرَ بِهِ (غاندي) أَيْضاً؛ لِأَنَّ العَفْوَ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ حَالَةَ السِّلْمِ.

كَمَا كَانَ (غاندي) يُؤْمِنُ بِمَبْدَأِ العَدَالَةِ، وَلِذَلِكَ اِعْتَمَدَ عَلَى كُلِّ تِلْكَ المَبَادِئِ لِإِقْنَاعِ البَرِيْطَانِيِّيْنَ بِأَنَّ إِحْسَاسَهُمْ بِالعَدَالَةِ وَالإِنْصَافِ يُؤَدِّي وَظِيْفَةً مُهِمَّةً فِي رَفْضِهِمُ احْتِلَالَ دَوْلَتِهِمْ لِلْهِنْدِ، وَسَيْطَرَتِهَا عَلَى الشَّعْبِ الهِنْدِيِّ الَّذِي لَا يَقِلُّ تَارِيْخُهُ وَثَقَافَتُهُ عَرَاقَةً عَنْ تَارِيْخِ الشَّعْبِ البَرِيْطَانِيِّ وَحَضَارَتِهِ، بَلْ إِنَّ الثَّقَافَةَ الهِنْدِيَّةَ أَقْدَمُ، وَأَعْرَقُ مِنَ الثَّقَافَةِ البَرِيْطَانِيَّةِ بِحَدِّ ذَاتِهَا.



وَهكَذا أَخَذَ (غاندي) يُخاطِبُ الطَّيِّبِيْنَ بَيْنَ صُفُوْفِ الشَّعْبِ الإنْكليْزِيِّ، فَأُعْجِبُوْا بِأَفْكَارِه، فَدُعِيَ إِلَى (لندن) لِحُضُوْرِ جَلْسَةِ مُفاوَضاتٍ يَتِمُّ بِمُوْجِبِها تَحْديْدُ الأُمُوْرِ، وَتَقْسيْمُها بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ، فَاسْتَطاعَ (غاندي) هُناكَ أَنْ يَحْظَى بِمَحَبَّةِ الإِنْكليْزِ، وَأَنْ يَكْسِبَهُمْ إِلَى صَفِّهِ، فَلَمْ يَعُدْ يُهِمُّهُمْ لِباسُهُ الشَّعْبِيُّ المُتَواضِعُ، بَلْ أَخَذُوْا يَنْظُرُوْنَ إِلَيْهِ عَلى أَنَّهُ صاحِبُ فِكْرٍ وَثَقافَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

وَهكَذا، وَدُوْنَ أَنْ تُراقَ قَطْرَةُ دَمٍ واحِدَةٌ، تَفَوَّقَ الرَّجُلُ الَّذي كانَ يَرْتَدي أَبْسَطَ الثِّيابِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ تَحْقيْقِ ما لَمْ يَسْتَطِعْ (هتلر) أَنْ يُحَقِّقَهُ بِقُوَّةِ السِّلاحِ، أَلا وَهُوَ تَحْريْرُ البِلادِ.

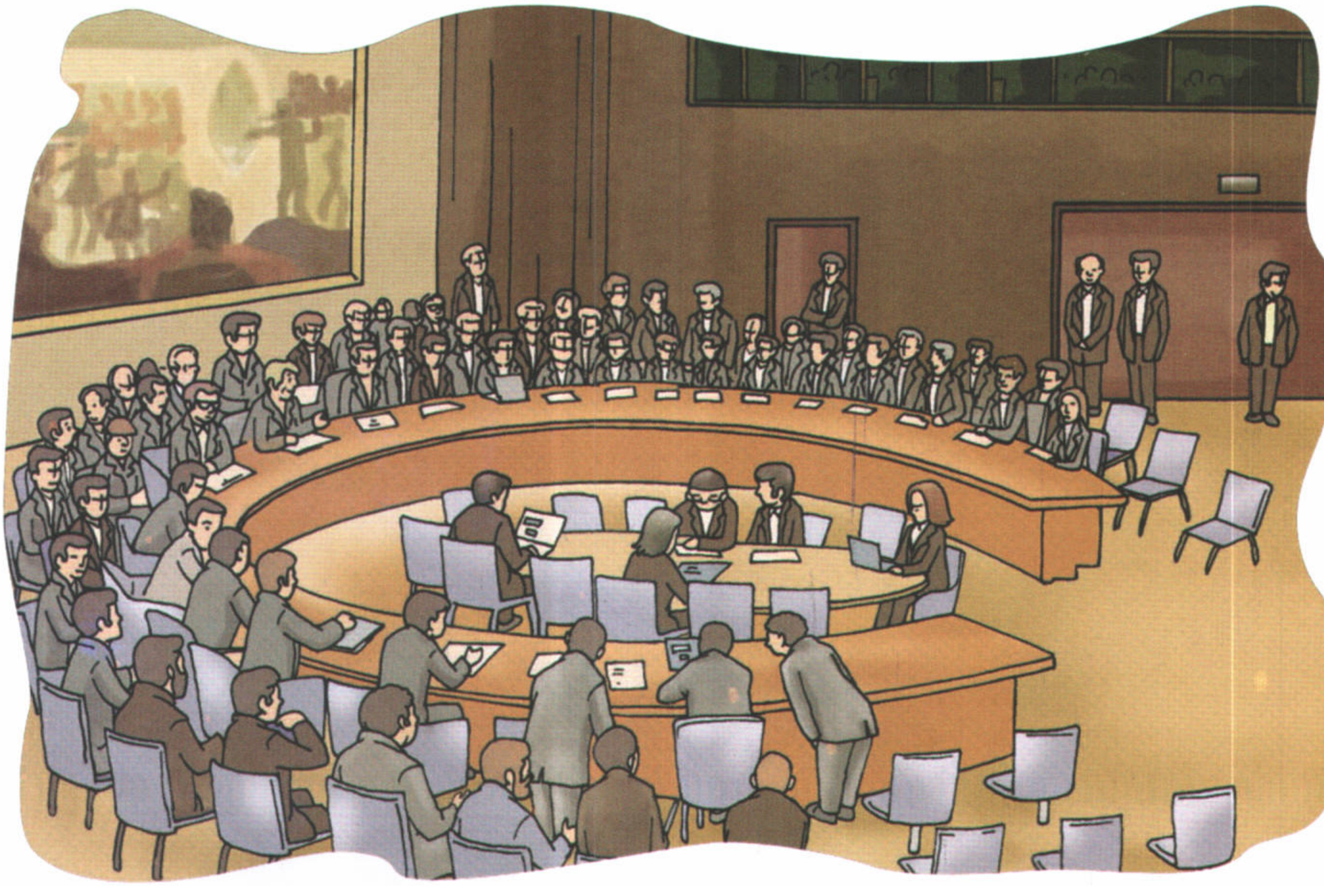
لَقَدِ اعْتَمَدَ (غاندي) عَلَى العَديْدِ مِنَ الطُّرُقِ السِّلْمِيَّةِ لِنَيْلِ الحُرِّيَّةِ، وَقَدْ تَمَثَّلَ ذلِكَ بِرَفْضِهِ التَّعاوُنَ مَعَ البَرِيْطانِيِّيْنَ، حَيْثُ طَلَبَ مِنْ شَعْبِهِ الكَفَّ عَنِ ارْتِداءِ الأَلْبِسَةِ المُصَنَّعَةِ في (بَرِيْطانيا)، وَأَخَذَ يُحَدِّثُ قَوْمَهُ عَنِ الطَّرِيْقَةِ الَّتي يَتَّبِعُها البَرِيْطانِيُّوْنَ لِاسْتِغْلالِ الشَّعْبِ الهِنْدِيِّ، وَتَقُوْمُ عَلَى الحُصُوْلِ عَلَى القُطْنِ مِنَ الهِنْدِ، وَتَحْوِيْلِهِ إِلَى أَلْبِسَةٍ تُباعُ في الهِنْدِ بِأَسْعارٍ مُرْتَفِعَةٍ، لِذا بَدَأَ (غاندي) يُشَجِّعُ النَّاسَ عَلَى العَوْدَةِ لِاسْتِعْمالِ عَجَلَةِ الغَزْلِ، وَعَلَى ارْتِداءِ الأَقْمِشَةِ الَّتي تُغْزَلُ يَدَوِيّاً، وَذلِكَ لِتَخْفيفِ حَجْمِ المُشْتَرَياتِ مِنَ السِّلَعِ الأَجْنَبِيَّةِ، وَإِضْعافِ الأَرْباحِ الَّتي تَجْنيْها الحُكُوْمَةُ البَرِيْطانِيَّةُ، وَلَقَدْ كانَتْ تِلْكَ بَعْضَ الطُّرُقِ السِّلْمِيَّةِ الَّتي اعْتَمَدَ عَلَيْها (غاندي) لِتَحْريْرِ شَعْبِهِ مِنْ نيْرِ الاحْتِلالِ الإِنْكليْزِيِّ.



الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ

كَانَتِ الحَرْبُ العَالَمِيَّةُ الثَّانِيَةُ حَرْباً هَمَجِيَّةً ضَرُوْساً تَسَبَّبَتْ في مَقْتَلِ الكَثِيْرِيْنَ، وَتَدْمِيْرِ البِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ في العَدِيْدِ مِنْ بُلْدَانِ العَالَمِ، وَبَعْدَ أَنْ وَضَعَتِ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا، قَرَّرَ زُعَمَاءُ الدُّوَلِ الَّتِي شَارَكَتْ في تِلْكَ الحَرْبِ عَدَمَ السَّمَاحِ بِتَكْرَارِ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الأَلِيْمَةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلِهَذَا وَقَّعَتْ تِلْكَ الدُّوَلُ عَلَى بَيَانٍ تَعَهَّدَتْ فِيْهِ بِالسَّعْيِ لِتَحْرِيْرِ العَالَمِ بِأَسْرِهِ بِمَا يَكْفُلُ لِجَمِيْعِ شُعُوْبِ الأَرْضِ أَنْ تَحْيَا بِسَلَامٍ وَأَمَانٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ اللَّبِنَةَ الأُوْلَى الَّتِي وُضِعَتْ لِبِنَاءِ مُنَظَّمَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، الَّتِي تَأَسَّسَتْ رَسْمِيّاً بِتَارِيْخِ ٢٤ تِشْرِيْنَ الأَوَّلِ عَامَ ١٩٤٥.

وَالأُمَمُ المُتَّحِدَةُ هِيَ مُنَظَّمَةٌ تَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ حِفْظِ السَّلَامِ في العَالَمِ، وَلِهَذَا فَهِيَ تَضُمُّ تَحْتَ لِوَائِهَا جَمِيْعَ دُوَلِ العَالَمِ، وَيَقَعُ مَقَرُّهَا الرَّئِيْسُ في مَدِيْنَةِ (نيويورك) بِالوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ، إِذْ تُرْسِلُ كُلُّ الدُّوَلِ الأَعْضَاءِ مُمَثِّلِيْهَا إِلَى ذَلِكَ المَقَرِّ الرَّئِيْسِ، حَيْثُ يَجْتَمِعُ مَنْدُوْبُو سَائِرِ الدُّوَلِ الأَعْضَاءِ لِمُنَاقَشَةِ القَضَايَا المُخْتَلِفَةِ، وَمُحَاوَلَةِ حَلِّ المَشَاكِلِ العَالِقَةِ، وَتُعَدُّ (سويسرا) البَلَدَ المُسْتَقِلَّ الوَحِيْدَ الَّذِي لَمْ يَنْضَوِ تَحْتَ لِوَاءِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ.



يَتَكَوَّنُ شِعَارُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ مِنْ خَارِطَةٍ لِلْعَالَمِ يَحْتَضِنُهَا إِكْلِيْلٌ مِنْ أَغْصَانِ الزَّيْتُوْنِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ غُصْنَ الزَّيْتُوْنِ يُعَدُّ رَمْزاً لِلسَّلَامِ.

وَمِنَ الأَهْدَافِ الأَسَاسِيَّةِ لِلْأُمَمِ المُتَّحِدَةِ البَحْثُ في أَسْبَابِ اِنْدِلَاعِ الحُرُوْبِ بِمَا يُسَاعِدُ عَلَى وَقْفِهَا، فَحِيْنَمَا تَنْدَلِعُ حَرْبٌ مَا، تُحَاوِلُ مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ إِيْقَافَهَا، وَذَلِكَ بِإِقْنَاعِ الدُّوَلِ المُتَحَارِبَةِ بِحَلِّ مُشْكِلَاتِهَا بِالمُحَادَثَاتِ السِّلْمِيَّةِ، فَإِذَا تَوَقَّفَتِ الحَرْبُ، تَبْدَأُ الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ بِمُحَاوَلَاتِهَا لِمَنْعِ نُشُوْبِ تِلْكَ الحَرْبِ مِنْ جَدِيْدٍ، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ الجُهُوْدَ قَدْ تَفْشَلُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، شَأْنُهَا فِي ذَلِكَ شَأْنُ الجُهُوْدِ الَّتِي يَبْذُلُهَا الأَفْرَادُ، وَهَكَذَا يَبْقَى شَبَحُ الحَرْبِ مُخَيِّماً عَلَى كُلِّ مَكَانٍ.

هَذَا، وَتَهْدِفُ مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ إِلَى حِفْظِ السَّلَامِ العَالَمِيِّ، وَتَشْجِيْعِ الشُّعُوْبِ عَلَى أَنْ يَلْتَزِمَ بَعْضُهَا تُجَاهَ بَعْضٍ بِمَبَادِئِ العَدَالَةِ وَالإِنْصَافِ، وَتَتَمَتَّعُ الدُّوَلُ الأَعْضَاءُ جَمِيْعُهَا بِحُقُوْقٍ مُتَسَاوِيَةٍ ضِمْنَ مَنْظُوْمَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، إِلَى جَانِبِ الوَاجِبَاتِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَيْهَا أَيْضاً، حَيْثُ تَتَوَقَّعُ المُنَظَّمَةُ مِنْ سَائِرِ الدُّوَلِ الأَعْضَاءِ أَنْ تُسَاعِدَ فِي حَلِّ مُشْكِلَاتِ الدُّوَلِ الأُخْرَى، وَأَنْ تَمُدَّ يَدَ العَوْنِ لِتَسْوِيَةِ النِّزَاعَاتِ سِلْمِيّاً، أَيْ إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنَ الدُّوَلِ الأَعْضَاءِ أَنْ تَسْعَى لِلْعَيْشِ بِتَسَامُحٍ فِيْمَا بَيْنَهَا، وَأَنْ تَتَعَايَشَ مَعَ الآخَرِيْنَ بِسِلْمِيَّةٍ.

وَتُسَاعِدُ الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ الشُّعُوْبَ عَلَى نَيْلِ حُرِّيَّتِهَا، وَعَلَى تَحْسِيْنِ ظُرُوْفِهَا المَعِيْشِيَّةِ، وَتُقَدِّمُ الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ مُخْتَلَفَ أَنْوَاعِ المُسَاعَدَاتِ لِلدُّوَلِ الفَقِيْرَةِ لِتَحْقِيْقِ تِلْكَ الغَايَةِ.

كَمَا تُقَدِّمُ مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ خِدْمَاتِهَا، وَمُسَاعَدَاتِهَا بِطُرُقٍ أُخْرَى أَيْضاً، حَيْثُ تَمْنَحُ القُرُوْضَ لِلدُّوَلِ الَّتِي خَاضَتْ حُرُوْباً، أَوْ لِإِقَامَةِ الطُّرُقَاتِ وَإِنْشَاءِ المَعَامِلِ وَالمَصَانِعِ.

وَتُشَجِّعُ هَذِهِ المُنَظَّمَةُ عَمَلِيَّةَ التَّبَادُلِ التِّجَارِيِّ بَيْنَ الدُّوَلِ، لَاسِيَّمَا بَيْنَ الدُّوَلِ الفَقِيْرَةِ وَالغَنِيَّةِ، وَتُسَاعِدُ عَلَى ضَبْطِ مُعَدَّلَاتِ التَّلَوُّثِ البِيْئِيِّ، وَتُقَدِّمُ المَعُوْنَاتِ لِلَّاجِئِيْنَ، وَهُمْ أَشْخَاصٌ اِضْطُرُّوْا لِلرَّحِيْلِ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَالبَحْثِ عَنْ مَلَاذٍ آمِنٍ لَهُمْ فِي بُلْدَانٍ أُخْرَى، وَتُخَصِّصُ تِلْكَ المُنَظَّمَةُ مُسَاعَدَاتٍ لِلْأَطْفَالِ، كَمَا تُسَاعِدُ النَّاسَ عَلَى تَعَلُّمِ اِحْتِرَامِ حُقُوْقِ الآخَرِيْنَ، وَحِفْظِ كَرَامَةِ الشُّعُوْبِ، وَتُوَزِّعُ أَيْضاً الغِذَاءَ عَلَى المُحْتَاجِيْنَ فِي حَالَاتِ المَجَاعَةِ.

هَذَا، وَقَدْ لَا يَتَمَكَّنُ بَعْضُ مَنْدُوْبِي الدُّوَلِ الأَعْضَاءِ حِيْنَمَا يَنْعَقِدُ اِجْتِمَاعٌ لِلْأُمَمِ المُتَّحِدَةِ مِنْ فَهْمِ اللُّغَةِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا مَنْدُوْبُو الدُّوَلِ الأُخْرَى، وَلِهَذَا يَتِمُّ الاعْتِمَادُ عَلَى المُتَرْجِمِيْنَ لِحَلِّ تِلْكَ المُشْكِلَةِ، حَيْثُ يَضَعُ المَنْدُوْبُوْنَ السَّمَّاعَاتِ عَلَى رُؤُوْسِهِمْ لِيُنْصِتَ كُلٌّ مِنْهُمْ لِلتَّرْجَمَةِ بِلُغَتِهِ الَّتِي يَفْهَمُهَا.

وَيُعَدُّ مَنْصِبُ الأَمِيْنِ العَامِّ لِلْأُمَمِ المُتَّحِدَةِ أَعْلَى مَنْصِبٍ فِي تِلْكَ المُنَظَّمَةِ، وَيَشْغَلُ هَذَا المَنْصِبَ حَالِيّاً (بان كي مون) مِنْ دَوْلَةِ (كُوريا الجَنُوْبِيَّةِ).

العُنْصُرِيَّةُ

العُنْصُرِيَّةُ كَلِمَةٌ بَغِيْضَةٌ يَكْرَهُ سَماعَهَا كُلُّ النَّاسِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ العُنْصُرِيَّ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذِي يَشْعُرُ بِتَفَوُّقِهِ عَلَى الآخَرِيْنَ، وَلَا يُبْدِي أَيَّ اسْتِعْدَادٍ لِلتَّعَايُشِ مَعَ الأَشْخَاصِ الَّذِيْنَ يَتَصَرَّفُوْنَ بِطَرِيْقَةٍ تَخْتَلِفُ عَنْ طَرِيْقَتِهِ، أَوْ يَظْهَرُوْنَ بِمَظْهَرٍ مُخَالِفٍ لِمَا اعْتَادَ عَلَيْهِ.

تَعْمَلُ العُنْصُرِيَّةُ عَلَى زَرْعِ بُذُوْرِ الكَرَاهِيَةِ، وَتَقْوِيْضِ حَالَةِ السِّلْمِ؛ لِأَنَّهَا تُعِيْدُ لِمُخَيِّلَتِنَا صُوَرَ أَشْخَاصٍ يُضْمِرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الكُرْهَ، إِضَافَةً إِلَى صُوَرِ العُنْفِ وَالأَلَمِ وَالأَذَى.

كَانَتِ العُنْصُرِيَّةُ حَاضِرَةً بِقُوَّةٍ فِي مُعْظَمِ دُوَلِ العَالَمِ، وَلَا تَزَالُ مَوْجُوْدَةً حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَكِنْ بِدَرَجَاتٍ أَضْعَفَ وَأَقَلَّ حِدَّةً، وَلَعَلَّ أَبْرَزَ صُوَرِ العُنْصُرِيَّةِ تَتَمَثَّلُ فِي شَخْصِيَّةِ (هتلر)، الَّذِي قَتَلَ سِتَّةَ مَلَايِيْنَ يَهُوْدِيٍّ خِلَالَ ثَلَاثِيْنِيَّاتِ وَأَرْبَعِيْنِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ العِرْقَ الأَلْمَانِيَّ مُتَفَوِّقٌ عَلَى بَقِيَّةِ البَشَرِ، وَهَذَا مَا دَفَعَهُ إِلَى النَّظَرِ إِلَى اليَهُوْدِ وَالسُّوْدِ عَلَى أَنَّهُمْ أَدْنَى مَنْزِلَةً مِنْ سَائِرِ البَشَرِ.

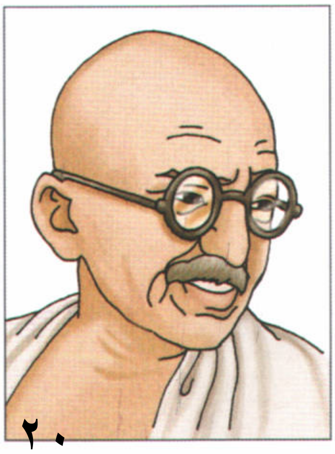
وَلِهَذَا حَارَبَتْ مُعْظَمُ دُوَلِ العَالَمِ (هتلر)، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ هَزِيْمَتِهِ فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ.

كَمَا تَتَجَلَّى العُنْصُرِيَّةُ بِأَبْشَعِ صُوَرِهَا مَعَ الأَفَارِقَةِ الَّذِيْنَ كَانُوْا يُؤْسَرُوْنَ وَيُسْبَوْنَ عَبِيْداً لِأَمْرِيْكَا، وَهُنَاكَ كَانُوْا يُعَامَلُوْنَ كَالبَهَائِمِ، كَمَا كَانُوْا يُعَذَّبُوْنَ، وَيُقْتَلُوْنَ إِذَا لَمْ يُطِيْعُوْا أَوَامِرَ أَسْيَادِهِمْ مِنَ البِيْضِ.

وَقَدْ كَانَ (أبراهام لنكولن) أَوَّلَ رَئِيْسٍ أَمْرِيْكِيٍّ حَارَبَ الرِّقَّ وَالعُبُوْدِيَّةَ.

وَمِنْ صُوَرِ العُنْصُرِيَّةِ البَغِيْضَةِ نَتَذَكَّرُ صُوْرَةَ الهِنْدُوْسِ وَالمُسْلِمِيْنَ، فَقَدْ كَانُوْا يَتَقَاتَلُوْنَ فِي الفَتْرَةِ الَّتِي كَانَتِ الهِنْدُ فِيْهَا تُحَاوِلُ نَيْلَ اسْتِقْلَالِهَا.

وَكَانَ (مهاتما غاندي) الشَّخْصَ الَّذِي حَاوَلَ إِحْلَالَ السَّلَامِ فِي البِلَادِ، لِأَنَّهُ الأَبُ الرُّوْحِيُّ لِلشَّعْبِ الهِنْدِيِّ.





كَما تَتَمَثَّلُ العُنْصُرِيَّةُ أَيْضاً بِالنِّظامِ الطَّبَقِيِّ الَّذي كَانَ سَائِداً فِي الهِنْدِ، وَفي عَدِّ بَعْضِ الأَشْخَاصِ عَلَى أَنَّهُمْ أَشْخَاصٌ مَنْبُوْذُوْنَ.

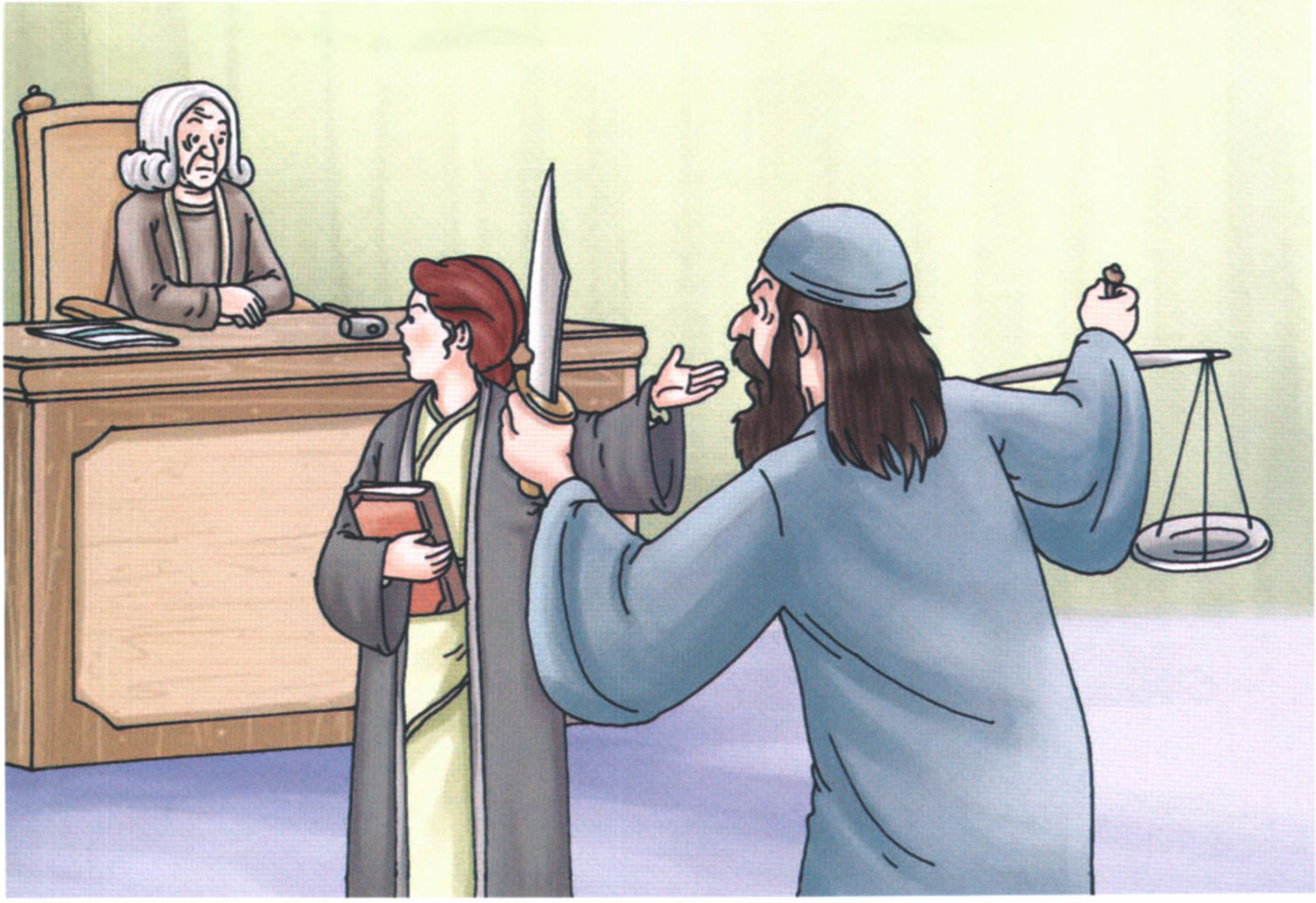
وَلَقَدْ حاوَلَ (غاندي) إِعادَةَ إِحْساسِ المُساواةِ والكَرامَةِ الإِنْسانِيَّةِ بَيْنَ صُفُوْفِ هُؤلاءِ المَنْبُوْذِيْنَ، وَذَلِكَ بِدَعْوَتِهِمْ لِلاخْتِلاطِ مَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الطَّبَقاتِ، وَإِطْلاقِ تَسْمِيَةِ: "شَعْبُ اللهِ" عَلَيْهِمْ.

وَتَتَجَلَّى العُنْصُرِيَّةُ أَيْضاً فِي سِياسَةِ الفَصْلِ العُنْصُرِيِّ الَّتي ظَهَرَتْ في جَنُوْبِ أَفْرِيْقِيا، حَيْثُ كَانَتِ القِلَّةُ الحَاكِمَةُ مِنَ البِيْضِ تُسَيْطِرُ عَلَى حَياةِ السُّوْدِ، وَيُقْصَدُ بِسِياسَةِ الفَصْلِ العُنْصُرِيِّ الفَصْلُ بَيْنَ أَصْحَابِ البَشَرَةِ البَيْضَاءِ، وَأَصْحابِ البَشَرَةِ السَّمْراءِ الدَّاكِنَةِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ يُسْمَحُ لِلسُّوْدِ بِالسَّكَنِ في المَناطِقِ الَّتي يَسْكُنُها البِيْضُ، وَمُنِعَ أَيْضاً الأَطْفالُ السُّوْدُ مِنَ الالْتِحاقِ بِمَدارِسِ البِيْضِ، وَكَانَتْ هُنالِكَ وَظَائِفُ مُخَصَّصَةٌ لِلْبِيْضِ وَمُحَرَّمَةٌ عَلَى السُّوْدِ.

وَكَانَ (نيلسون مانديلا) الشَّخْصَ الَّذي دَافَعَ عَنِ السُّوْدِ، وَنَاضَلَ مِنْ أَجْلِ حُرِّيَّتِهِمْ وَمُساواتِهِمْ بِالبِيْضِ.

وَلَقَدْ ظَهَرَتِ العُنْصُرِيَّةُ أَيْضاً فِي الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ حِيْنَما بَقِيَ السُّوْدُ الَّذِيْنَ تَحَرَّرُوْا مِنْ نِيْرِ العُبُوْدِيَّةِ يُعانُوْنَ مِنْ تَمْيِيْزٍ وَفَصْلٍ عُنْصُرِيٍّ بَغِيْضٍ، فَلَمْ يَكُنْ يُسْمَحُ لَهُمْ بِتَناوُلِ الطَّعامِ في مَطاعِمِ البِيْضِ، أَوِ الدِّراسَةِ في مَدارِسِهِمْ، أَوِ التَّعَبُّدِ في دُوْرِ عِبادَتِهِمْ.

فَأَتَى (مارتن لوثر كينغ) الَّذي أَخَذَ يُبَشِّرُ بِمَبْدَأِ اللاَّعُنْفِ، فَساعَدَ في ذَلِكَ عَلَى خَلْقِ بِدايَةٍ لِمَرْحَلَةِ التَّغْيِيْرِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ حَالاتِ الظُّلْمِ وَالتَّحَيُّزِ الَّتي كَانَتْ سَائِدَةً آنَذاكَ.



وَمَعَ ذَلِكَ مَا زَالَتِ العُنْصُرِيَّةُ مَوْجُودَةً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَمَا زَالَتْ تَتَسَبَّبُ فِي ظُهُورِ أَهَمِّ المُشْكِلاتِ فِي مُخْتَلِفِ أَنْحَاءِ العَالَمِ، حَيْثُ تَتَمَثَّلُ العُنْصُرِيَّةُ بِعَمَلِيَّاتِ التَّفْجِيرِ الَّتِي يَذْهَبُ ضَحِيَّتَهَا الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ يَنْتَمُوْنَ إِلَى عِرْقٍ أَوْ دِينٍ مُعَيَّنٍ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ البَشَرَ لَمْ يَتَعَلَّمُوْا بَعْدُ تَقَبُّلَ الآخَرِ كَمَا هُوَ، فَمِنْ وَاجِبِنَا أَنْ نَتَقَبَّلَ الآخَرِيْنَ إِخْوَةً لَنَا فِي الإِنْسَانِيَّةِ، وَلَيْسَ عَلَى أَسَاسِ لَوْنِ بَشَرَتِهِمْ، سَوَاءٌ أَكَانَ أَبْيَضَ أَمْ أَسْوَدَ، أَوْ عَلَى أَسَاسِ دِيَانَتِهِمْ، سَوَاءٌ أَكَانُوا مُسْلِمِيْنَ أَمْ مَسِيْحِيِّيْنَ أَمْ يَهُوْدَ.

وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ (ويليام شكسبير) مِنْ خِلَالِ شَخْصِيَّةِ (شايلوك) فِي مَسْرَحِيَّتِهِ: "تَاجِرُ البُنْدُقِيَّةِ"، وَذَلِكَ حِيْنَمَا قَالَ عَلَى لِسَانِ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ: "أَلَيْسَ لِلْيَهُوْدِيِّ عَيْنَانِ؟ أَلَيْسَ لَهُ يَدَانِ، وَأَعْضَاءُ وَحَوَاسُّ وَمَشَاعِرُ؟ أَلَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ الَّذِي تَأْكُلُوْنَهُ؟ أَلَا يَجْرَحُهُ السِّلَاحُ الَّذِي يَجْرَحُكُمْ؟ أَلَا يُمْرِضُهُ مَا يُمْرِضُكُمْ؟ أَلَا يَشْفِيهِ مَا يَشْفِيكُمْ؟ أَلَا يَشْعُرُ بِحَرَارَةِ الصَّيْفِ وَبَرْدِ الشِّتَاءِ كَمَا يَشْعُرُ المَسِيْحِيُّوْنَ بِذَلِكَ؟ أَلَا تَسِيْلُ دِمَاؤُنَا إِذَا وَخَزْتُمُوْنَا بِأَدَاةٍ حَادَّةٍ؟ أَلَا نَضْحَكُ إِذَا دَغْدَغْتُمُوْنَا؟ أَلَا نَمُوْتُ إِذَا سَمَّمْتُمُوْنَا؟ أَلَنْ نَثْأَرَ إِذَا ظَلَمْتُمُوْنَا؟".

أَتْرُكُ لَكَ عَزِيْزِي القَارِئَ التَّفْكِيْرَ بِإِجَابَاتِ تِلْكَ التَّسَاؤُلَاتِ كُلِّهَا.

ماكبث

كَانَ (دنكان) مَلِكاً عَلَى (اسكتلندا)، وَكَانَ مَلِكاً عَادِلاً وَرَحِيماً، إِلَّا أَنَّ القَلاقِلَ وَالفِتَنَ الَّتِي تَسَبَّبَتْ بِظُهُوْرِ العُنْفِ كَانَتْ تَسُوْدُ مَمْلَكَتَهُ، وَلِهَذَا كَانَ شَعْبُهُ يَأْمُلُ أَنْ يَسُوْدَ السَّلامُ أَرْجَاءَ البِلادِ.

ثُمَّ ظَهَرَتْ ثَوْرَةٌ فِي مَمْلَكَةِ (اسكتلندا) الَّتِي كَانَتْ مُضْطَرِبَةً أَصْلاً، وَذَلِكَ حِيْنَمَا قَرَّرَ الجَيْشُ الَّذِي تَمَرَّدَ عَلَى الدَّوْلَةِ أَنْ يَثُوْرَ عَلَيْهَا.

كَانَ (ماكبث) قَائِداً مِغْوَاراً فِي جَيْشِ (دنكان)، وَكَذَلِكَ كَانَ القَائِدُ (بانكو)، وَهَذَا مَا دَفَعَ المَلِكَ لِتَكْلِيْفِهِمَا بِإِخْمَادِ تِلْكَ الثَّوْرَةِ.

وَبَيْنَمَا كَانَتْ رَحَى تِلْكَ الحَرْبِ الطَّاحِنَةِ دَائِرَةً، اجْتَمَعَتْ ثَلاثُ سَاحِرَاتٍ فِي مَكَانٍ مَهْجُوْرٍ، وَلا يَأْتِي مِنَ السَّاحِرَاتِ إِلَّا الشَّرُّ وَالمَصَائِبُ، فَحِيْنَمَا كَانَتْ تِلْكَ السَّاحِرَاتُ يَرْقُصْنَ حَوْلَ المِرْجَلِ الَّذِي كَانَتْ تَغْلِي دَاخِلَهُ الأَفَاعِي وَالضَّفَادِعُ، أَخَذْنَ يُغَنِّيْنَ أُغْنِيَّةً مَطْلَعُهَا: "مَتَى سَنَجْتَمِعُ نَحْنُ الثَّلاثَةَ مَرَّةً أُخْرَى؟ أَعِنْدَمَا تُرْعِدُ السَّمَاءُ، أَمْ حِيْنَمَا تُبْرِقُ، أَمْ تَحْتَ المَطَرِ؟"

وَبَعْدَمَا نَجَحَ (ماكبث) وَ(بانكو) فِي إِخْمَادِ الثَّوْرَةِ، وَأَقْفَلا عَائِدَيْنِ إِلَى أَرْضِ الوَطَنِ، مَرَّا بِالمَكَانِ المَهْجُوْرِ الَّذِي كَانَتِ السَّاحِرَاتُ الثَّلاثُ يُوْجَدْنَ فِيْهِ، فَبُهِتَ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ مَنْظَرِ تِلْكَ المَخْلُوْقَاتِ الكَرِيْهَةِ.

إِلَّا أَنَّ (ماكبث) صَرَخَ حِيْنَمَا شَاهَدَهُنَّ، وَقَالَ: "تَحَدَّثْنَ إِنْ كُنْتُنَّ تَسْتَطِعْنَ الكَلامَ، مَنْ أَنْتُنَّ؟"

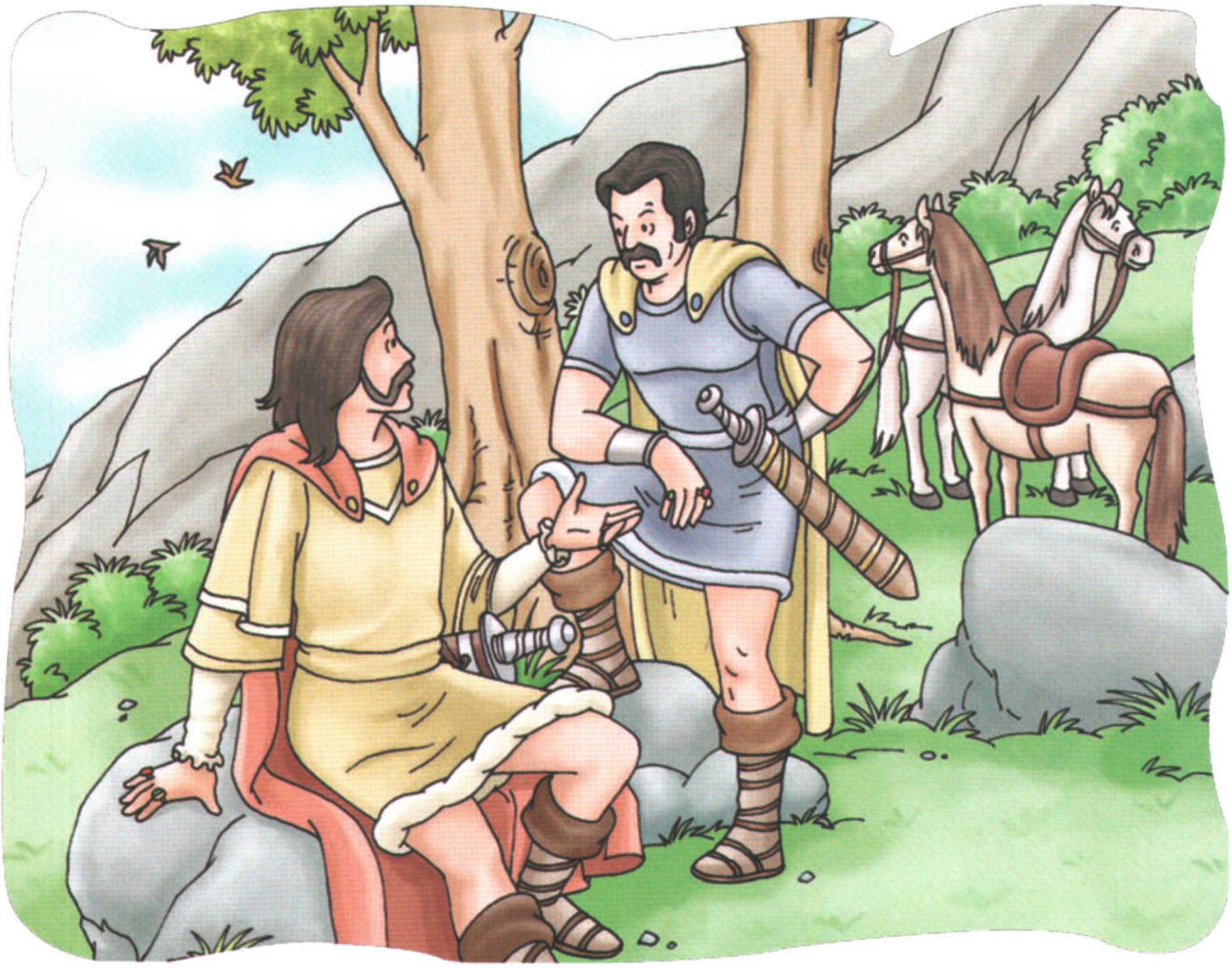
فَتَكَلَّمَتِ السَّاحِرَةُ الأُوْلَى، وَقَالَتْ لَهُ: "كُلُّ التَّحِيَّةِ لَكَ يَا (ماكبث)، مَرْحباً بِكَ يَا سَيِّدُ (غلاميس)!"

ثُمَّ صَرَخَتِ السَّاحِرَةُ الثَّانِيَةُ قَائِلَةً: "كُلُّ التَّحِيَّةِ لَكَ يَا (ماكبث)، مَرْحباً بِكَ يَا سَيِّدُ (كاودور)!"



فَمَا كَانَ مِنَ السَّاحِرَةِ الثَّالِثَةِ إِلَّا أَنْ ضَحِكَتْ بِصَوْتِهَا المُجَلْجِلِ، ثُمَّ صَاحَتْ: "كُلُّ التَّحِيَّةِ لَكَ يَا (ماكبث)، فَإِنَّكَ سَتُصْبِحُ مَلِكاً فِي المُسْتَقْبَلِ".

ذُهِلَ (ماكبث) مِمَّا سَمِعَهُ مِنَ السَّاحِرَاتِ، وَلَكِنْ رَغْمَ أَنَّ كَلامَهُنَّ حَمَلَ أَخْبَاراً سَارَّةً إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِالسَّعَادَةِ مُطْلَقاً، وَذَلِكَ لِأَنَّ كَلامَهُنَّ أَقْلَقَهُ، وَعَكَّرَ صَفْوَ مِزَاجِهِ، كَمَا أَنَّ (بانكو) حَذَّرَهُ مِنْهُنَّ بِقَوْلِهِ: "إِذَا وَثِقْتَ بِأَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ فَلَنْ يَجُرَّ عَلَيْكَ ذَلِكَ سِوَى الخَرَابِ وَالوَبَالِ فِي النِّهَايَةِ".



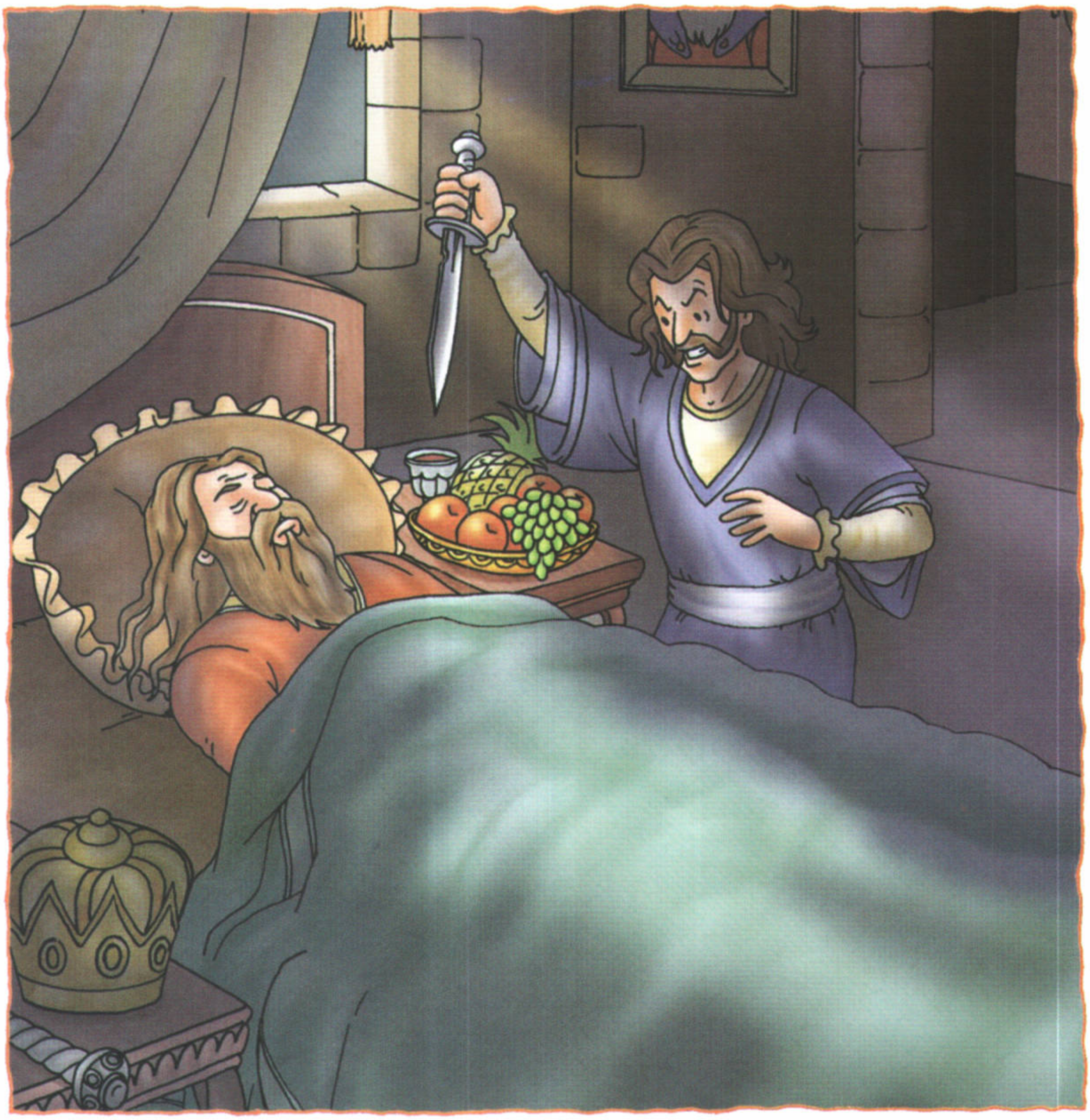
جَلَسَ (ماكبث) يُفكِّرُ بِمَا قالَهُ (بانكو)، إلّا أنَّ طُمُوْحَهُ الَّذي ظَلَّ يُراوِدُهُ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَويْلَةٍ مَنَعَهُ مِنَ التَّفْكيْرِ بِرَويَّةٍ، إذْ لَطَالَمَا حَلَمَ بِارْتِدَاءِ التَّاجِ، والتَّرَبُّعِ عَلَى عَرْشِ المَمْلَكَةِ.

كَانَتْ زَوْجُ (ماكبث) امْرَأَةً طَمُوْحاً أَيْضاً، وَكَانَتْ تُحِبُّ السُّلْطَةَ، وَمُسْتَعِدَّةً لِفِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ في سَبِيْلِ الحُصُوْلِ عَلَى مَا تُرِيْدُ، لِذَا قَرَّرَتْ أَنْ تُسَاعِدَ زَوْجَهَا في الوُصُوْلِ إلَى المُلْكِ، فَبَدَأَتْ تَخْدَعُهُ، وَتَدْفَعُهُ لِلتَّخَلِّي عَنِ القِيَمِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَخَذَتْ تَزْرَعُ دَاخِلَهُ إحْسَاساً بِالاسْتِيَاءِ وَالجَشَعِ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ يَفْقِدُ رَاحَتَهُ، وَيُحْرَمُ مِنَ العَيْشِ بِسَلامٍ.

وَفي أَحَدِ الأيَّامِ قَرَّرَ المَلِكُ (دنكان) أَنْ يَزُوْرَ (ماكبث) وَزَوْجَهُ في دَارِهِمَا، فَكَانَتْ سَعَادَةُ زَوْجِ (ماكبث) لا تُوْصَفُ حِيْنَمَا سَمِعَتْ بِأَمْرِ تِلْكَ الزِّيَارَةِ، إلّا أَنَّهَا كَانَتْ تُخْفِي وَرَاءَ هَذَا السُّرُوْرِ أَمْراً شِرِّيْراً؛ وَذَلِكَ لأَنَّ الفُرْصَةَ الَّتِي كَانَتْ تَتَحَيَّنُهَا قَدْ جَاءَتْ إلَيْهَا عَلَى طَبَقٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَدْ كَانَتْ تَنْتَظِرُ فُرْصَةً مُشَابِهَةً لِتَغْتَالَ المَلِكَ، إذْ لابُدَّ لِـ(دنكان) أَنْ يَمُوْتَ حَتَّى يُصْبِحَ زَوْجُهَا مَلِكاً، وَكَانَ ذَلِكَ مِحْوَرَ خُطَّتِهَا الشِّرِّيْرَةِ.

شَعَرَ (ماكبث) بِرُعْبٍ شَدِيْدٍ حِيْنَمَا أَخْبَرَتْهُ زَوْجُهُ عَمَّا كَانَتْ تُفَكِّرُ بِهِ، وَتُخَطِّطُ لَهُ، إذْ كَيْفَ يُمْكِنُ لِعَمَلِيَّةِ اغْتِيَالِ شَخْصٍ مَا أَنْ تَجْلِبَ السَّعَادَةَ؟ مُسْتَحِيْلٌ! لأَنَّ تِلْكَ العَمَلِيَّةَ لَنْ يَأْتِيَ مِنْ وَرَائِهَا سِوَى عَذَابِ الضَّمِيْرِ وَالرُّوْحِ، لِذَا لَمْ يَتَحَمَّسْ (ماكبث) لِمَا سَمِعَهُ مِنْ زَوْجِهِ.

وَعِنْدَمَا وَصَلَ (دنكان) إلَى بَيْتِ (ماكبث) سَادَ هُنَالِكَ جَوٌّ مِنَ السُّرُوْرِ وَالحُبُوْرِ، وَبَعْدَ تَنَاوُلِ وَجْبَةٍ دَسِمَةٍ، وَقَضَاءِ سَهْرَةٍ مُمْتِعَةٍ، قَرَّرَ المَلِكُ أَنْ يَنَامَ في المَخْدَعِ الَّذِي خُصِّصَ لَهُ، وَلِذَلِكَ عَمِلَتِ السَّيِّدَةُ



(ماكبث) كُلَّ مَا بِوُسْعِهَا لِتُبْعِدَ حُرَّاسَ المَلِكِ عَنْهُ؛ لِأَنَّهَا طَلَبَتْ مِنْ (ماكبث) أَنْ يَقْتُلَ المَلِكَ أَثْنَاءَ نَوْمِهِ، وَأَنْ يَضَعَ الخَنْجَرَ الَّذِي قَتَلَهُ بِهِ فِي يَدِ أَحَدِ الحُرَّاسِ الَّذِيْنَ تَهَاوَنُوْا بِحِرَاسَتِهِ، بِحَيْثُ يَبْدُوْ ذَلِكَ الحَارِسُ القَاتِلَ الحَقِيْقِيَّ الَّذِي ارْتَكَبَ تِلْكَ الجَرِيْمَةَ البَشِعَةَ.

غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ الأَفْكَارَ كَانَتْ تُعَذِّبُ (ماكبث)، إِذْ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ (دنكان)؟ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنِ الْتَفَتَ إِلَى زَوْجِهِ وَقَالَ لَهَا: "لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَداً".

عِنْدَهَا صَرَخَتْ زَوْجُهُ دُوْنَ أَيِّ وَازِعٍ مِنْ ضَمِيْرٍ: "مَاذَا قُلْتَ؟ يَالَكَ مِنْ جَبَانٍ! وَلَنْ تَكُوْنَ رَجُلاً إِلَّا إِذَا كُنْتَ قَادِراً عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ".

وَهُنَا شَعَرَ (ماكبث) بِأَنَّ رُجُوْلَتَهُ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى المحَكِّ بَعْدَ أَنْ تَحَدَّتْهُ زَوْجُهُ، فَقَرَّرَ أَخِيْراً أَنْ يَقْتُلَ (دنكان) بَعْدَ أَنِ انْتَابَتْهُ حَالَةُ تَخَبُّطٍ شَدِيْدَةٌ، وَاخْتَلَطَتْ عَلَيْهِ الأُمُوْرُ، فَحَمَلَ خِنْجَرَهُ، وَانْسَلَّ إِلَى غُرْفَةِ (دنكان)، فَأَصَابَهُ خَوْفٌ شَدِيْدٌ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَتَلَ المَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَسْمَحَ لِنَفْسِهِ بِالتَّفْكِيْرِ بِبَشَاعَةِ الجَرِيْمَةِ الَّتِي كَانَ يَرْتَكِبُهَا.

وَبَعْدَ اغْتِيَالِهِ لِلْمَلِكِ، سَمِعَ (ماكبث) صَوْتاً يُنَادِيْهِ: "لَنْ يَغْمَضَ لَكَ جَفْنٌ بَعْدَ اليَوْمِ، لَقَدِ اغْتَالَتْ يَدُكَ النَّوْمَ يَا (ماكبث)"، وَأَخَذَ هَذَا الصَّوْتُ يُكَرِّرُ تِلْكَ العِبَارَةَ مَرَّاتٍ عَدِيْدَةً.

عِنْدَ ذَلِكَ نَظَرَ (ماكبث) إِلَى يَدَيْهِ المُلَطَّخَتَيْنِ بِالدِّمَاءِ، فَانْتَابَهُ ذُعْرٌ شَدِيْدٌ، ثُمَّ صَرَخَ قَائِلاً: "هَلْ يُمْكِنُ لِمِيَاهِ البُحُوْرِ أَنْ تَغْسِلَ الدِّمَاءَ عَنْ يَدَيَّ؟ لَا، بَلْ إِنَّ يَدَيَّ سَتُحِيْلُ مِيَاهَ البِحَارِ اللَّازُوْرْدِيَّةَ إِلَى اللَّوْنِ الأَحْمَرِ".

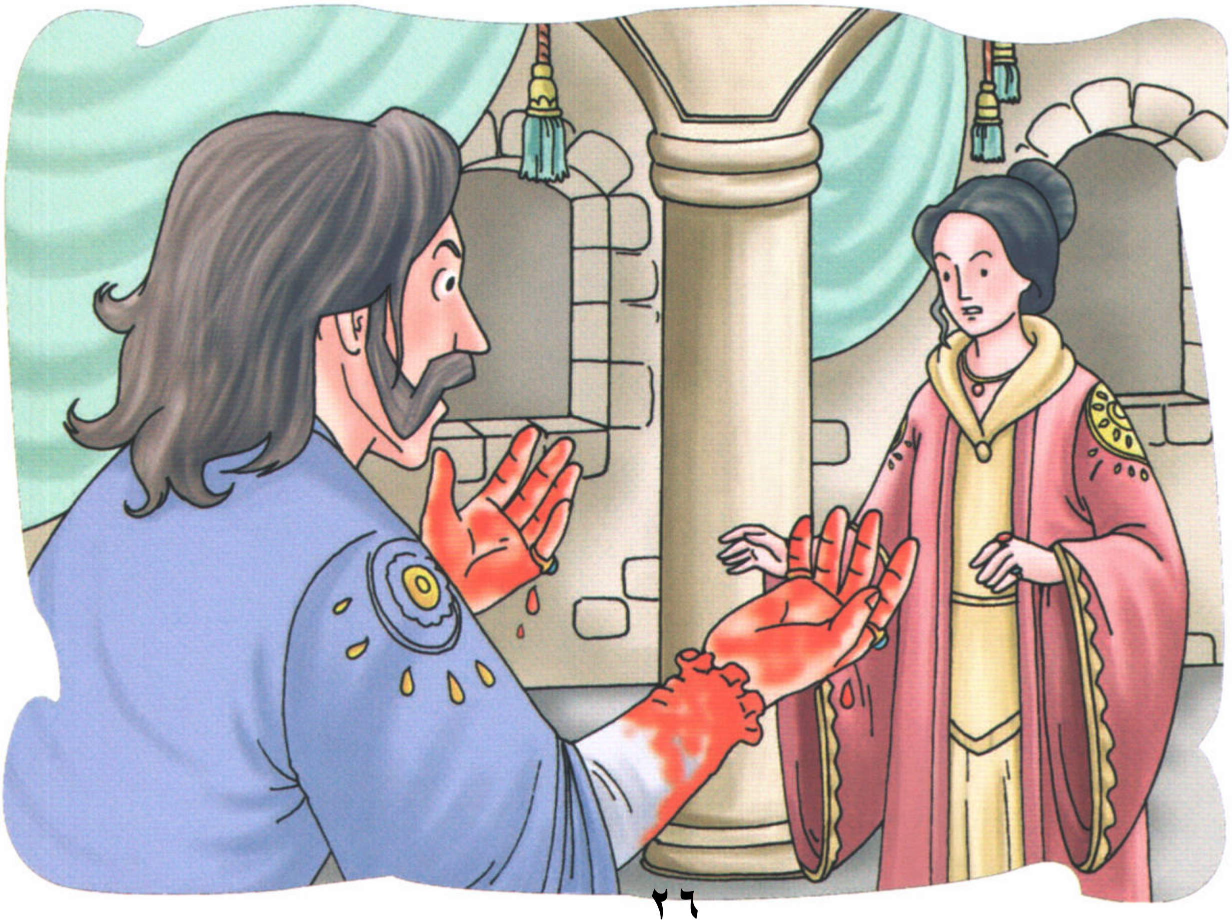
بَعْدَ ذَلِكَ نَظَرَ إِلَى زَوْجِهِ وَقَالَ: "إِنَّنِي خَائِفٌ مِنَ التَّفْكِيْرِ بِمَا اقْتَرَفَتْهُ يَدَايَ".

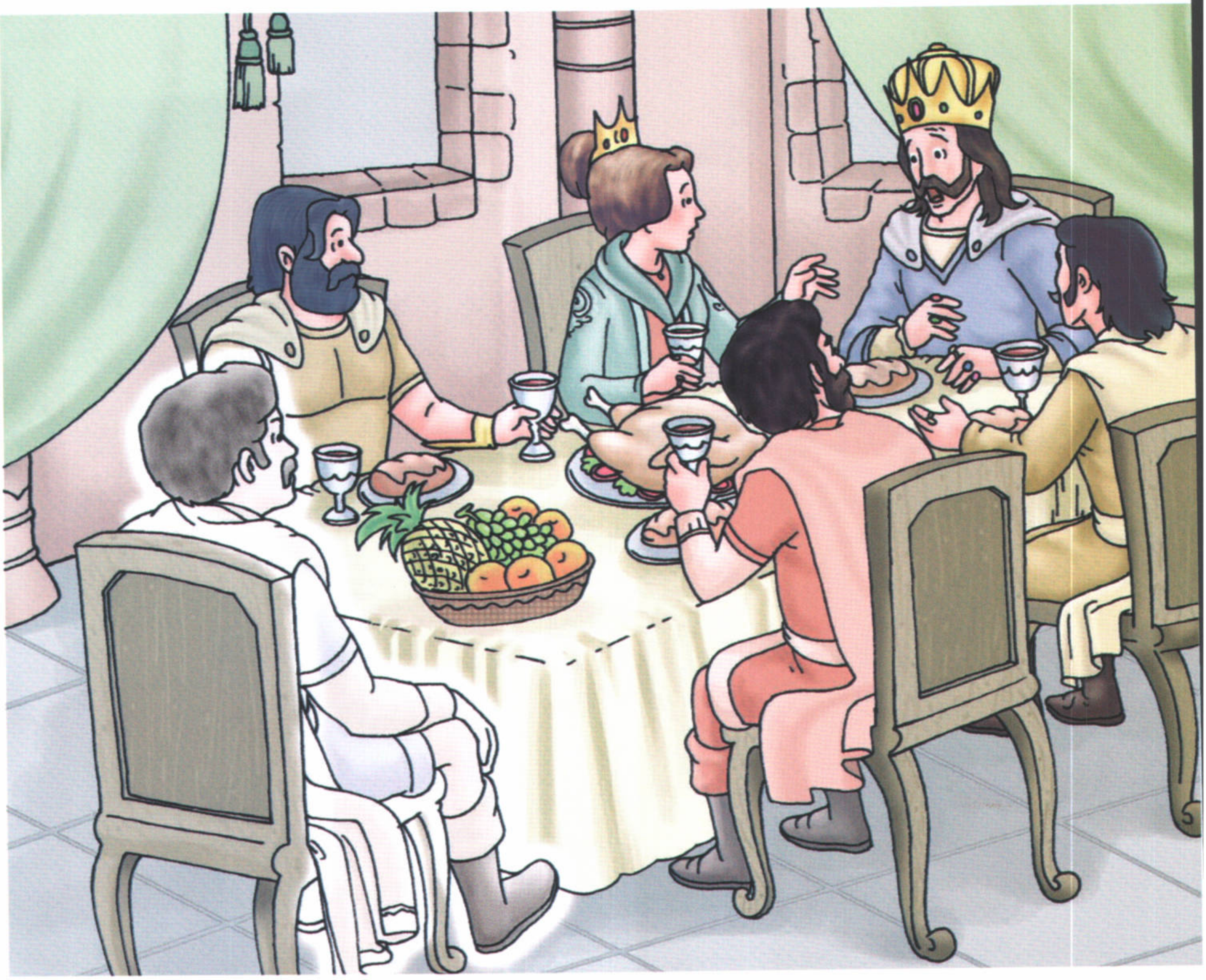
وَحِيْنَمَا اكْتُشِفَتِ الجَرِيْمَةُ فِي الصَّبَاحِ، سَادَ ذُعْرٌ شَدِيْدٌ بَيْنَ ضُيُوْفِ (ماكبث)، أَثْنَاءَ مُحَاوَلَتِهِمُ البَحْثَ عَنْ مُرْتَكِبِ تِلْكَ الجَرِيْمَةِ.

غَيْرَ أَنَّ (بانكو) كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِهُوِيَّةِ الجَانِي الحَقِيْقِيِّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ (ماكبث) كَانَ يَسْعَى لِلْحُصُوْلِ عَلَى المُلْكِ وَفْقاً لِنُبُوْءَةِ السَّاحِرَاتِ، وَأَنَّهُ فَعَلَ تِلْكَ الجَرِيْمَةَ النَّكْرَاءَ لِيَحْصُلَ عَلَى مَا يُرِيْدُ.

كَانَ (ماكبث) يَعْرِفُ بِأَنَّ (بانكو) مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهُ هُوَ مَنْ قَتَلَ المَلِكَ، لِذَا دَفَعَ بَعْضَ المَالِ لِثُلَّةٍ مِنَ المُجْرِمِيْنَ لِيَقْتُلُوْا (بانكو) أَيْضاً.

وَبَعْدَ جَرِيْمَتِهِ الثَّانِيَةِ، لَمْ يَعُدْ (ماكبث) يَعْرِفُ لِلسَّلَامِ طَعْماً، حَيْثُ أَصْبَحَ يَتَخَيَّلُ أُمُوْراً عَجِيْبَةً، وَيَرَى شَبَحَ (بانكو) المُثْخَنِ بِالجِرَاحِ عِنْدَ مَقْتَلِهِ، فَكَانَ مَنْظَرُ تِلْكَ الجُرُوْحِ النَّازِفَةِ يُعَذِّبُهُ، لِذَا كَانَ يَشْحُبُ لَوْنُهُ كُلَّمَا





رَأى ذلِكَ الشَّبَحَ، وَتَسْرِي الرَّجْفَةُ فِي أَوْصَالِهِ مِنَ الخَوْفِ الَّذِي كَانَ يَنْتَابُهُ، إِلَّا أَنَّ الشَّبَحَ كَانَ يُعَاوِدُ الظُّهُوْرَ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، فَكَانَ يَظْهَرُ لَهُ أَحْيَاناً أَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِ الطَّعَامَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَأَحْيَاناً حِيْنَمَا يُحَاوِلُ أَنْ يَخْلُدَ إِلَى النَّوْمِ، وَهَذَا مَا جَعَلَ (ماكبث) يَعِيْشُ جَحِيْماً لَا يُطَاقُ.

وَهَكَذَا أَصْبَحَ السَّيْفُ مُلَازِماً لِـ(ماكبث)، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَتَرَدَّدُ أَبَداً فِي قَتْلِ أَيِّ شَخْصٍ يُمَثِّلُ مَصْدَرَ تَهْدِيْدٍ لَهُ وَلِسُلْطَانِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ يَعِشْ بِحَدِّ السَّيْفِ يَمُتْ بِحَدِّ السَّيْفِ أَيْضاً، وَهَذَا مَا حَصَلَ لِـ(ماكبث)، فَقَدْ قُتِلَ فِي إِحْدَى المَعَارِكِ، ثُمَّ جُزَّ رَأْسُهُ، وَفُصِلَ عَنْ جَسَدِهِ.

وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ حِكَايَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الطَّمُوْحِ الَّذِي قَتَلَ طُمُوْحُهُ إِحْسَاسَهُ بِالسِّلْمِ وَالأَمَانِ، وَهِيَ قِصَّةٌ تَحْمِلُ بَيْنَ طَيَّاتِهَا كُلَّ مَعَانِي العُنْفِ، أَجَلْ، إِنَّهَا قِصَّةُ (ماكبث) الجَزَّارِ.

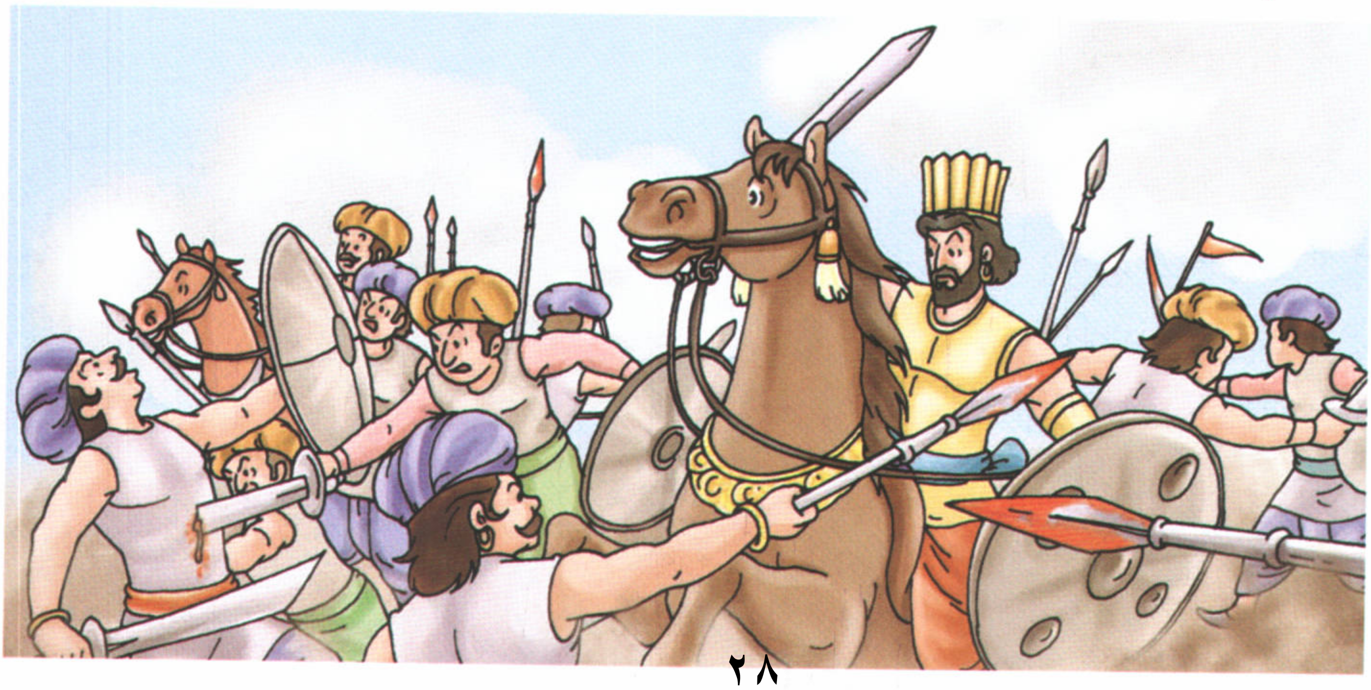
عَمُوْدُ (آسوكا)

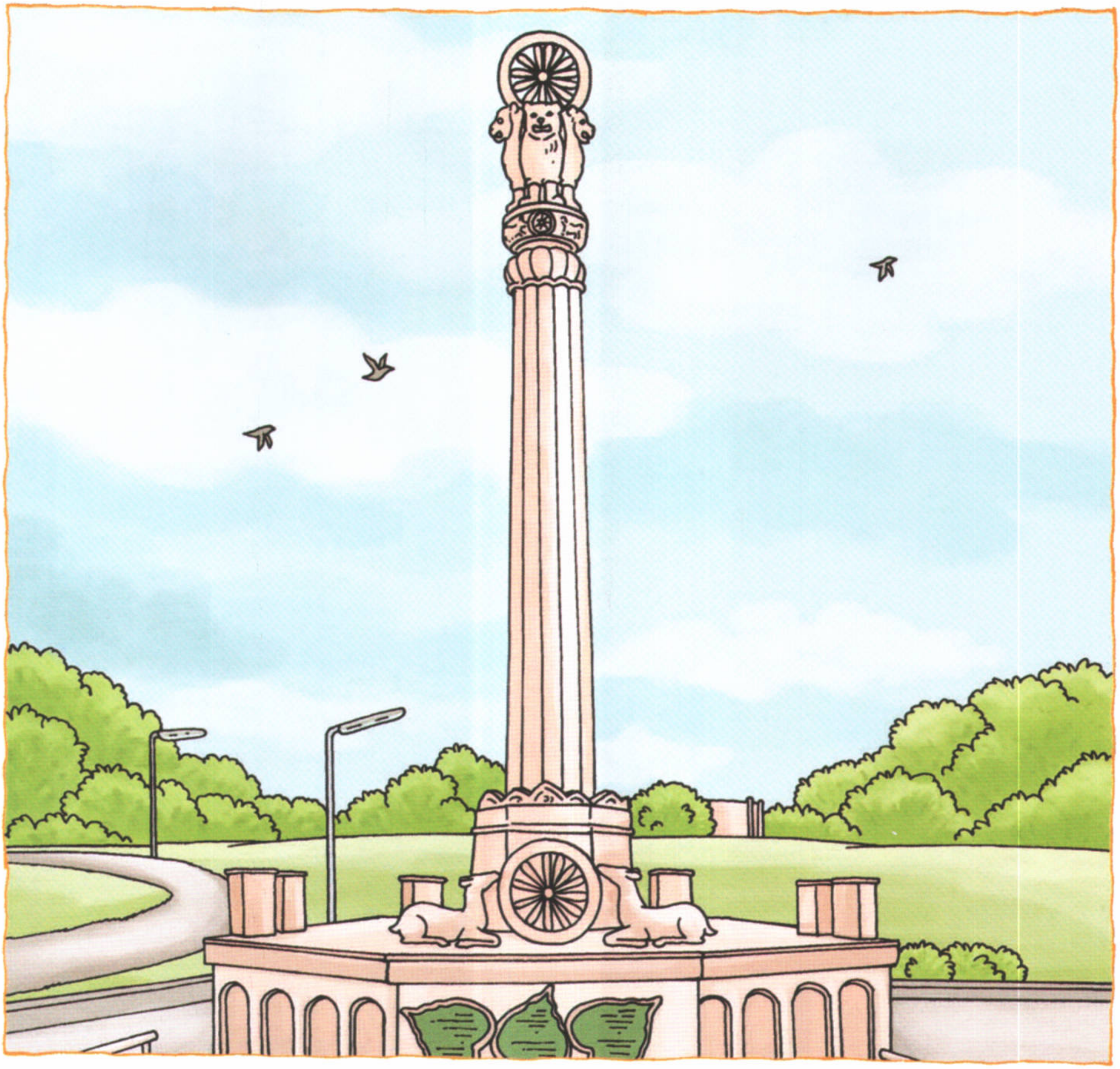
كَانَ (آسوكا) حَفِيْدَ (تشاندراغوبتا) مُؤَسِّسِ سُلَالَةِ (ماوريان) المَلَكِيَّةِ فِي الهِنْدِ، أَمَّا وَالِدُ (آسوكا) فَكَانَ اِسْمُهُ (بيمبيسارا) الَّذِي حَكَمَ شَمَالَ الهِنْدِ مُدَّةَ تِسْعَةٍ وَعِشْرِيْنَ عَاماً، سَادَ خِلَالَهَا الأَمْنُ وَالسَّلَامُ رُبُوْعَ البِلَادِ، وَلَكِنْ بَعْدَ وَفَاةِ ذَلِكَ الحَاكِمِ تَعَيَّنَ عَلَى اِبْنِهِ (آسوكا) أَنْ يُقَاتِلَ لِيَسْتَعِيْدَ عَرْشَ أَبِيْهِ.



كَانَ (آسوكا) فِي بِدَايَةِ أَمْرِهِ قَائِداً عَسْكَرِيّاً شَرِساً، حَيْثُ تَمَكَّنَ مِنِ اسْتِعَادَةِ أَجْزَاءَ كَبِيْرَةٍ مِنَ الهِنْدِ، وَكَانَ النَّصْرُ حَلِيْفَهُ فِي أَيِّ مَعْرَكَةٍ يَخُوْضُهَا، إِلَّا أَنَّهُ حِيْنَمَا فَتَحَ إِقْلِيْمَ (كالينغا) الَّذِي يُعْرَفُ اليَوْمَ بِاسْمِ (أوريسا)، قَتَلَ جَيْشُهُ مَا يُقَارِبُ مِئَةَ أَلْفِ شَخْصٍ، وَأَسَرَ مِئَةً وَخَمْسِيْنَ أَلْفَ شَخْصٍ آخَرِيْنَ.

وَحِيْنَمَا شَاهَدَ (آسوكا) سَاحَةَ المَعْرَكَةِ وَهِيَ تَغُصُّ بِجُثَثِ القَتْلَى، وَمَنْ يُصَارِعُوْنَ المَوْتَ قَبْلَ أَنْ تُنْزَعَ مِنْهُمُ الرُّوْحُ، أَصَابَهُ خَوْفٌ شَدِيْدٌ، فَقَدْ جَعَلَتْ هَذِهِ المَجْزَرَةُ المُرِيْعَةُ (آسوكا) يُدْرِكُ مَدَى عِظَمِ جَرِيْمَتِهِ، لِذَا قَرَّرَ أَنْ يَعْتَزِلَ القِتَالَ وَخَوْضَ الحُرُوْبِ، وَأَنْ يَتَّبِعَ سَبِيْلَ السَّلَامِ، فَتَحَوَّلَ إِلَى تَعَالِيْمِ البُوْذِيَّةِ الَّتِي تَهْتَمُّ كَثِيْراً بِمَبْدَأِ اللَّاعُنْفِ، وَاحْتِرَامِ أَشْكَالِ الحَيَاةِ كَافَّةً رَغْمَ أَنَّهُ وُلِدَ هِنْدُوْسِيّاً، كَمَا أَنَّ البُوْذِيَّةَ تَدْعُوْ إِلَى التَّسَامُحِ وَاحْتِرَامِ الآخَرِيْنَ.





وَلَقَدْ سَاعَدَتْ تِلْكَ التَّعَالِيْمُ (آسوكا) عَلَى حِفْظِ السَّلَامِ فِي مَمْلَكَتِهِ، كَمَا سَاعَدَتْهُ أَيْضاً عَلَى تَوْحِيْدِ بِلَادِهِ، وَهَكَذَا أَصْبَحَ (آسوكا) حَاكِماً مُتَسَامِحاً مَعَ سَائِرِ أَبْنَاءِ شَعْبِهِ.

وَلَقَدْ بَقِيَتْ مَبَادِئُ (آسوكا) المُتَمَثِّلَةُ بِتَوْحِيْدِ الهِنْدِ، وَمَبْدَأُ اللَّاعُنْفِ سَائِدَةً حَتَّى بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَقَدْ تَمَكَّنَ (مهاتما غاندي) مِنْ تَحْرِيْرِ الهِنْدِ مِنْ نِيْرِ الاحْتِلَالِ الإِنْكِلِيْزِيِّ عَبْرَ النِّضَالِ السِّلْمِيِّ الَّذِي يَنْبِذُ العُنْفَ، وَلِهَذَا أَصْبَحَ التِّمْثَالُ الَّذِي يُجَسِّدُ أَسَدَ (آسوكا) رَمْزاً لِاسْتِقْلَالِ الهِنْدِ.

وَيَنْتَصِبُ اليَوْمَ عَمُوْدُ (آسوكا) فِي مِنْطَقَةِ (سارناث) قُرْبَ مَدِيْنَةِ (بيناراس) فِي الهِنْدِ، وَهُوَ عَمُوْدٌ حَجَرِيٌّ، نُقِشَتْ عَلَيْهِ قَوَانِيْنُ الحُكُوْمَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الإِمْبَرَاطُوْرُ (آسوكا)، حَيْثُ تَدْعُوْ تِلْكَ القَوَانِيْنُ إِلَى نَبْذِ العُنْفِ، وَإِلَى التَّمَسُّكِ بِمَبْدَأِ السَّلَامِ، وَقَدْ نُقِشَتْ عِنْدَ رَأْسِ ذَلِكَ العَمُوْدِ ثَلَاثَةُ أُسُوْدٍ تَرْمِزُ إِلَى شَخْصِيَّةِ (آسوكا) وَمَا قَدَّمَهُ لِلشَّعْبِ الهِنْدِيِّ.

جَائِزَةُ نوبّل لِلسَّلَامِ



ألفريد نوبّل

كَانَ (ألفريد نوبّل) كِيمِيَائِيّاً سُوَيْدِيّاً، قَرَّرَ أَنْ يَخْتَرِعَ مَادَّةً مُتَفَجِّرَةً جَدِيْدَةً، فَاخْتَرَعَ مَادَّةَ الدِّيناميتِ، لَكِنَّهُ قُبَيْلَ وَفَاتِهِ عَزَمَ عَلَى العَمَلِ لِإِنْهَاءِ الحُرُوْبِ كَافَّةً، وَلِهَذَا أَطْلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ جَائِزَةَ نوبّل لِلسَّلَامِ؛ سَعْياً مِنْهُ لِنَزْعِ فَتِيْلِ سَائِرِ الحُرُوْبِ المُشْتَعِلَةِ.

وَنُقَدِّمُ إِلَيْكُمُ الآنَ صُوَراً لِبَعْضِ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي حَصَلَتْ عَلَى جَائِزَةِ نوبّل لِلسَّلَامِ.



نيلسون مانديلا



دالاي لاما



ألبرت شويتزر



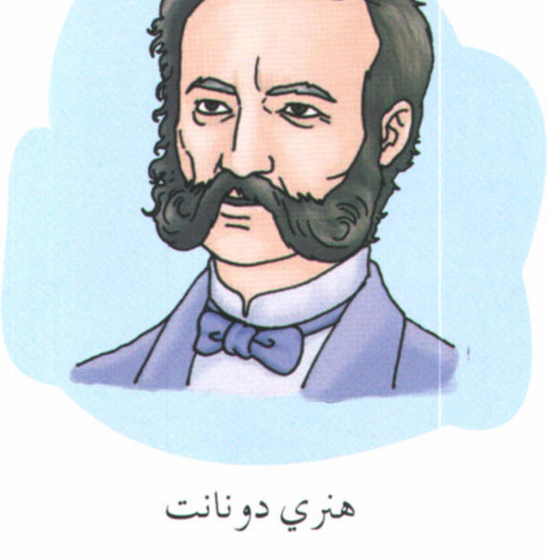
مارتن لوثر كينغ



الأم تيريزا



ميخائيل غورباتشوف



هنري دونانت



أونغ سان سوكي

يَا إِلَهِي هَبْ لِيَ السَّلَامَ

يَا إِلَهِي هَبْ لِيَ السَّلَامَ
فِي حَرَكَاتِي وَسَكَنَاتِي
فِي دَفْقِ قَلْبِي وَأَنْفَاسِي
إِلَهِي أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ
أَظِلَّنَا يَا إِلَهِي بِنِعْمَةِ السَّلَام
وَأَذْهِبْ عَنَّا شَرَّ البَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ
حَتَّى يَمْلأَ الحُبُّ وَالنُّوْرُ الكَائِنَاتِ
يَا إِلَهِي هَبْ لِيَ السَّلَامَ

